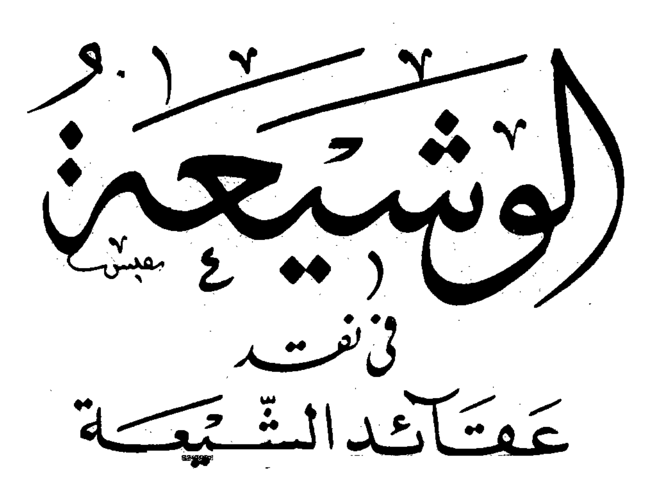


في نقد

عقائد الشيعة

تأليف

موسى جار الله

١٢٩٥ ــــــــ ١٣٦٩هـ

الناشر

سهيل اكيڈمی لاهور

باكستان

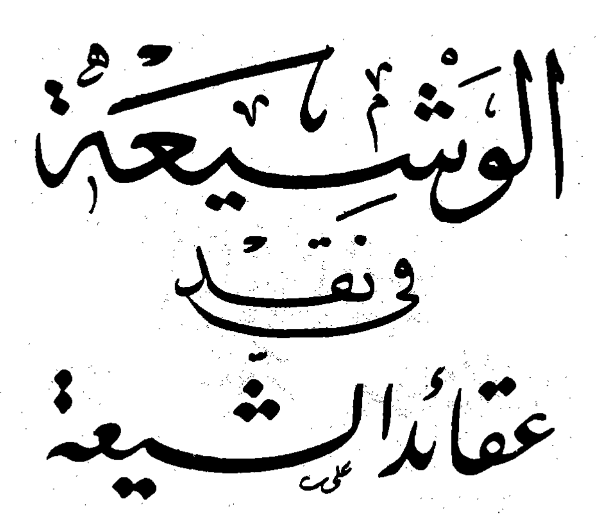
الطبعة الأولى	:	١١٠٠	١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م
الطبعة الثانية	:	١١٠٠	١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م
الطبعة الثالثة	:	١١٠٠	١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م

الناشر : سهيل اكيڈمي، محمد علي امين ماركيت، چوک اردو بازار، لاهور، پاكستان

اهتم بطبعه ونشره : محمد اسلم سهيل

طبع في ايورگرين پريس، چيمبرلين روڈ، لاهور

« يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين . »



جمعت فيها من كتب الشيعة عقائد لها

لا تتحملها الأمة والعقل وادبها

ودعوى الايتلاف (وتلك العقائد فى القلوب تورى نيران الشحناء وترى

الأكباد بورى البغضاء) ليست إلا أهوية تنفخ فى ضرام العداء

وكلمة التوحيد توجب اليوم على مجتهدى الشيعة

نزع تلك العقائد من الكتب لتجتث جذورها

من القلوب ، وتسل ذات جنبها من الصدور

وإلا ، فان الكلمات هزاء هواء ، والافئدة بلاء ،

وجفاء ، وأثر المؤتمرات عداء



«قل : الحمد لله . وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أم مايشركون »
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين . رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب . ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذى سبقونا بالايمان . ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا . ربنا انك رؤوف رحيم . رب اشرح لى صدرى . ويسر لى أمرى . واحلل عقدة من لسانى . يفقهوا قولى . واجعل لى وزيراً من أهلى (نصيراً دينى وعقلى) اشدد به ازرى . واشركه فى أمرى . كى نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً . إنك كنت بنا بصيراً . (كأنى سمعت الله) قال : قد أوتيت سولك يا موسى .

اللهم ، إنى قد أطعتك فى أحب الأشياء اليك . وما عصيتك أبداً فى أبغض الأشياء اليك فاغفر لعبدك ما بينهما .

لعل رحمة فضل حين تقسمها   تأتى على قدر الايمان فى القسم

وجه التأليف

يقول الله جل جلاله : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . وإن الله لمع المحسنين . »

كل فى حياته يجتهد ويجاهد . فان كان الجهاد فى الله فالاهتـداء فى سبل الله وعد إلاهى بقسم مؤكد ، لا يكون فيه خلف أبداً . والذى يجاهد وله غرض و نية فى غير الله فان الاهتداء ليس بوعد فى الآية .

والله جـل جلاله فى كتابه يقول : « ومثـل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة . » ثم يقول : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله . والله رؤوف بالعباد . »

« ربنا انك تعلم مانخفى وما نعلن . وما يخفى على الله من شىء فى الارض ولا فى السماء . »

والله يعلم وانى أشهدالله إنى لم أعمل عملا إلا فى الله، وقد انفقت كل اعمارى وشريت نفسى ونسلى ابتغاء مرضاةالله . وكنت فى كل ذلك مخلصاً لوجه الله .

ومن اعجب اجماع بديع قد وقع : اجماع نتلوه فى كتاب الله : اجماع الحق والباطل على الحكم بشىء . فيكون الحكم ضروريا قطعيا حتى يضطر الباطل الى القول به :

« قال : رب بما أغويتنى لازينن لهم فى الارض ولأغوينهم أجمعين . الا عبادك منهم المخلصين قال : هذا صراط على مستقيم : إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين »

فان ابليس الباطل قد استثنى المخلصين من سلطانه والله الحق جل جلاله قال:

إن الاخلاص لله « صراط على مستقيم . إن عبادى ليس لك عليهم سلطان. » ولو لم يكن هذا الحكم ضروريا لما اضطر الباطل إلى القول به .

أيا رب ، إنى لم ارد بالذى ، به   كتبت كتابى ، غير وجهك . فاقبل !

هذا عذرى فى تأليف الكتاب لتأليف القلوب ، وفى طبعه ونشره خالصاً لوجه الله مخلصاً له الدين . لا دواء لسلنا الا سله سل الشعرة من العجين .

لا تجعل ، اللهم ، لباطل على عقلى سبيلا . ولا للباطل على عملى دليلا .

أهم ما رأيته

هاجرت بيتى ووطنى فى نهاية سنة ١٩٣٠ هجرة اضطرارية ، وكانت قد سدت على كل طرق النجاة ، حتى آثرت مضطراً أوعر الطرق وأصعبها وأطولها . فساقتنى الأقدار من طريق التركستان الغربى إلى الأقطار الاسلامية : إلى التركستان الشرقى الصينى فالبامير فافغانستان . وبقيت أربعة أشهر وزيادة على متون الخيول حتى وصلت إلى كابل . ورأيت من كل عجائب الطبيعة وأعاجيب الأمم والأحوال ما كان ينسينى الصعوبات التى كنت ألقاها أو أتورط فيها . وأصعب عذاب لا أكاد أنساه هوانى بايدى حرس كانت ترقبنى ولا تتركنى على اختيارى فى البحث وفى الاقامة حيث أريد .

أقمت بكابل ، وهى جنة على الأرض ، أطيب بلدة وأجمل مدينة وأحسن عاصمة فى الشرق ، فى الانتظار أربعين يوماً ضيفا عند حكومتها الكريمة . ولها أربع مدارس ثانوية هى أكمل المدارس نظاما وتربية وأتم المدارس بركة وتخريجا دروسها بأربع لغات أجنبية : انجليزية ، المانية ، فرنسوية ، فارسية . فى كل مدرسة لغة . وخريج كل مدرسة يتملك لغتها كلاماً وكتابة وإنشاء .

وعلمت من كل ما رأيت أن الدولة الافغانية هى اليوم أقوى دولة فى تمدنها

وتدينها بين الدول الاسلامية التى ستحمل عرش الله فوقهم فى العصور الآتية المدنية . وهذا أملى وإيمانى . (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية .)

أقمت أربعين يوما فى الانتظار ، ثم فتح الله جل جلاله على وجهى أبواب السفر باشارة من جلالة الملك العظيم أعلى حضرت نادرشاه . وهو اليوم يسكن جنات الله وقدعرج روحه فى معارج الشهادة الى الله .

فانتهزت ضرورة الاغتراب فى اختيار السياحة بالبلادالاسلامية . وقدكنت سحت من قبل فى الهند وجزيرة العرب ومصر وكل بلاد تركيا وكل التركستان الغربى ، إذ أنا طالب صغير قد فرغ من درس العلوم المعروفة فى المدارس الثانوية والمدارس الدينية . ودامت سياحتى فى تلك المرة ستة أعوام كنت فيها فى مختلف الاقطار الاسلامية الا العراق والا الايران.

وفى هذه المرة الأخيرة أعدت سياحتى فى كل الاقطار الاسلامية التى كنت فيها من قبل . لأرى اليوم بعينى : الى أى حالة آلت هذه الممالك الاسلامية بعد هذه الحروب الطاغية الفاحشة والانقلابات الكبيرة الطائشة ؟ فرأيت من البلاد العربية التى كانت قبل الحرب ولايات للدولة العثمانية ، اعرابيا تذهب نفسه حسرات حنين إلى بعيره الذى ذهب به حنين .

أما سياحتى فى البلاد العراقية والايرانية فقد دامت سنة وزيادة . وكانت صعبة شديدة ، وأفادتنى دروسا جديدة : فرجت زوايا انظارى ، وأقامت على مركز الاعتدال أشعة افكارى ، وتحددت بها القوائم من زوايا آمالى .

ورأيت مدارسها الدينية العربية ومدارس سائر الاقطار الاسلامية فى نظامها وحياتها ودروسها اسوأ من المدارس التى كانت قبل الحرب فى تركيا وفى التركستان ، وخربت وسدت وهدمت بعد الحرب والانقلاب ودفنت تحت انقاض ذنوبها التاريخية . ولم يخربها ولم يهدمها الانقلاب ، بل كانت خرابا

يباباً خلاء من كل بركة وكانت بورة لبوار .

وكنت كلما أرى إحدى تلك المدارس ، وأزورها وأدخل حجرة من حجراتها وأصاحب ولداً صغيراً أو شيخاً هرماً من تلامذتها أكاد أسمع قول الرسل للنبي لوط : « إنه مصيبها ما أصابهم . إن موعدهم الصبح . أليس الصبح بقريب . فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك . وما هي من الظالمين ببعيد . »

رأيت أن الأمة في كل الأقطار قد رغبت عن مدارسها الدينية وأن الحكومة التي أخذت في إصلاح مدارسها النظامية قد يئست تمام اليأس من المدارس القديمة . فأهملتها إهمالا يقضي عليها .

ذهبت أنا في نهاية سنة ١٩٢٠ إلى بخارى بعد ما استولت عليها البلاشفة بقوة عسكرية من أبنائنا ، وبعد أن استبدت بكل ماغنمت من خزائنها وكنوزها التي تقنطرت في عصور عديدة حتى بلغت ملايين من القناطير المقنطرة ، وبعد أن نقلتها البلاشفة مدة شهور متوالية في قطارات مشحونة متواصلة إلى عاصمتها . (تلك الخزائن وتلك الكنوز وتلك القناطير المقنطرة هي اليوم مادة قوتها القوية . لا تنفد .) دخلت بخارى في تلك السنة ، ورأيت أن أحسن مدارسها جعلها الأمة مراحيض لأسواقها أو مرابط لحميرها ! فوليت منها فراراً وملئت منها حسرة منعتني أن أمكث فيها إلا ثلاثة أيام . ثم في سنة ١٩٢٧ زرت المدينة المنورة ، وأقمت بالحرم النبوي عشرين يوماً ، ورأيت المدرسة المحمودية وكانت أحسن مدرسة بالمدينة وكانت لها مكتبة غنية ، وجدار هذه المدرسة ملاصق لجدار المسجد النبوي ، وبابها ملاصق لباب السلام ، رأيتها اليوم جعلها الأمة مرحاضاً للسوق ، لا يدخلها أحد إلا لنقض الوضوء .

وعلى الأمم الاسلامية لأرض الحرم وللحرمين حقوق ووظائف يجب على

زعمائها أن يهتموا بها ويسعوا فى إقامتها . وأول شىء وأسهله توسيع حريم المسجد النبوى وتطهيره . وفى المرات الأخيرة من زيارتى قد رأيت حول المسجد النبوى أشياء ، لا ينبغى لنا اليوم أن نصبر عليها .

ومنظرة المدرسة المحمودية جنب الروضة المطهرة ، بل كل منظرة رأيتها بجوار المسجد النبوى كانت أشد وقعاً وألماً من كل منظرة وقعت فى بخارى بأيدى أبنائها لا بأيدى البلاشفة . فان أيدى البلاشفة لم تشتغل أيام الاستيلاء إلا بنقل الخزائن والكنوز من الذهب والفضة والجواهر الثمينة وتركت أبناءها على حريتها تعيث فى بلادها وتعبث بأقداسها سدى هملا . أما المدرسة المحمودية بل كل مدارس المدينة التى كانت معمورة قبل الحرب ، فلم يكن لخرابها اليوم من سبب إلا أن الأمة قد رغبت عنها شديد الرغبة ويئست منها تمام اليأس .

والأمة لها فى فيها عذرها . والمدرسة عليها وزرها . وإن خربت فلا وزر لها . تخسف بأوزارها تحت كثيف ذنوبها . والأمة إن حوسبت ، فتحاسب على ثقيل نومها ، وطويل غفلتها . ولا تجد العذر إلا بلسان السعاية : ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبارنا فأضلونا السبيلا ! ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً . »

ولسان السعاية بعد طول التقاعد عن السعى لن يكون عذراً عند الديان العدل . فان تقليد التابع ليس بأقل إثماً من تضليل المتبوع .

فى بلاد الشيعة

جلت فى بلاد الشيعة طولا وعرضاً سبعة أشهر وزيادة . وكنت أمكث فى كل عواصمها أياماً أو أسابيع ، وأزور معابدها ومشاهدها ومدارسها ، وأحضر محافلها وحفلاتها فى العزاء والمياتم . وكنت أحضر حلقات الدروس فى البيوت

والمساجد وصحونها ، والمدارس وحجراتها . وكنت أستمع ولا أتكلم بكلمة . وكنت أجول فى شوارع العواصم ، وأحيائها ودروب القرى وأزقتها لأرى الناس فى حركاتها وسكناتها على أحوالها العادية وأعمالها اليومية .

وكنت طول هذه المدة أرى أموراً منكورة لا أعرفها ثم أستفهمها ولا أجد جوابها . وأنكر شىء رأيته فى بلاد الشيعة : انى لم أر طول هذه المدة فى مسجد من مساجدها جماعة صلت صلاة الجمعة يوم الجمعة . إلا فى بوشهر فى رمضان . فقد حضرت فى جامع ، ورأيت طائفة من الناس صلت جمعة شيعية وخطب خطيبها خطبة شيعية .

ولم أزل أتعجب إلى اليوم : كيف امكن ان هوى مذهبياً او اجتهاد فرد أو رأى فقيه يرسخ متمكناً فى قلوب أمة حتى تجمع على ترك نصوص الكتاب تركا كأنها تجتنب الحرام : لم أر فى يوم من أيام الجمعة فى مسجد من المساجد أحداً من خلق الله ، ساعة الجمعة . وكنت قد أرى فى سائر الأيام أفراداً أو جماعة تصلى صلاة الظهر وتجمع صلاة العصر فى مسجد من المساجد .

وكنت بكربلاء المقدسة والنجف الاشرف مرات . وأقمت بالنجف أيام المحرم حتى رأيت كل ما تأتى به الشيعة أيام العزاء . ولهم يوم العاشوراء فى الصحن حول قبر الامام أمير المؤمنين على أشواط وأدوار فى ألعاب رياضية يسمونها التطبير . وصوابها لفظاً ومعنى واشتقاقاً وأصلا هو التتبير : كنت أقول كلما أراها « ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . » وفى كل شوط من الدور كان يسقط واحد أو اثنان من المتبرين مغشياً عليه يحمله حملة على نعش مثل نعش الميت . فكأنه شهيد فدى الامام الحسين بنفسه . وكل هذه التمثيلات والالعاب لكان فيها روعة لو لم يكن فيها إغراء عداوة وبغضاء ، ولعجل الامام القائم المنتظر الرجعة لو رأى فيها أثر صدق بين ملايين الشيعة .

وأول شيء سمعته وأكره شيء انكرته فى بلاد الشيعة هو لعن الصديق والفاروق وأمهات المؤمنين السيدة عائشة والسيدة حفصة ، ولعن العصر الاول كافة فى كل خطبة وفى كل حفلة ومجلس فى البدء والنهاية وفى ديابيج الكتب والرسائل وفى أدعية الزيارات كلها ، حتى فى الاسقية . ما كان يسقى ساق إلا ويلعن ،وما كان يشرب شارب الا ويلعن . وأول كل حركة وكل عمل هو الصلاة على محمد وآل محمد واللعن على الصديق والفاروق وعثمان الذين غصبوا حق أهل البيت وظلموهم .

ولا انكر على الشيعة فى كتابى هذا الا هذا الامر المنكر . وهو عندهم أعرف معروف . يلتذ به الخطيب ، ويفرح عنده السامع ، وترتاح إليه الجماعة . ولا ترى فى مجلس اثر ارتياح الا اذا أخذ الخطيب فيه . كأن الجماعة لا تسمع الا اياه أو لا تفهم غيره .

ولما وردت طهران زرت بعض كبار مجتهدى الشيعة ، وكنت أحضر حفلات العزاء ومجالس الوعظ ، واسمع فيها بصراحة زائدة ما كنت أنكره شديد الانكار . وكان فيها فى تلك الأيام إمام مجتهدى الشيعة السيد المحسن الأمين الحسينى العاملى ضيفاً . وكان يؤم الجماعة فى صلاتى المغرب والعشاء جمعاً . وكنت زرت حضرة السيد العاملى مرة بالكوفة وجرى فى تلك المرة بيننا كلام يسير . فزرته فى جامع طهران مرة ثانية وصلينا الصلاتين . ثم كتبت على ورقة صغيرة انكارى هذا الأمر المنكر ، وزدت فيها مسائل ، وقدمتها بيد السيد المحسن الأمين العاملى لمجتهدى طهران وقلت:

١) أرى المساجد فى بلاد الشيعة متروكة مهملة ، وصلاة الجماعة فيها غير قائمة ، والاوقات غير مرعية ، والجمعة متروكة تماما . وأرى المشاهد والقبور عندكم معبودة . أما المقابر فهى فى أكثر بلادكم طرق للناس ومعابر ، يدوسها الانعام

والـكلاب وكل عابر . ما أسباب كل هذه الامور؟

٢) لم أر فيـكم لا بين الاولاد ، ولا بين الطلبة ولا بين العلماء من يحفظ القران ولا من يقيم تلاوته ، ولا من يجيد قراءته . أرى القران عندكم مهجوراً . ما سبب سقوط البلاد الى هذا الدرك الاسفل من الهجر والاهمال ؟

ألبس عليـكم أن تهتموا فى إقامة القران الـكريم فى مكاتبكم ومدارسكم ومساجدكم ؟

٣) أرى ابتذال النساء وحرمات الاسـلام فى شوارع مدنكم بلغ حداً لا يمكن أن يراه الانسان فى غير بلادكم .

كتبت فى الورقة هذه المسائل الأربع ، فى (٢٦ : ٨ : ١٩٣٤) بطهران وسلمتها للسيد المحسن الأمين العاملى . ثم لم أر حضرة السيد . وسمعت خطيبا فى حفلة أتى بكلمات دلت على أن تلك الورقة تداولتها الأيدى .

بين كـتب الشيعة :

غنينا عصوراً فى عوالم جمة فلم نلق الا عالماً متلاعنا :
فان فاتهم طعن الرماح ، فمحفل ترى فيه مطعونا عليه وطاعنا .
هنيئا لطفل أزمع الســير عنهم فودع من قبل التعارف ظاعنا :

هذه حال الشيعة فى نسبتها الى الامة . والتشيع على شكله الذى نراه اليوم فى بلاد الشـيعة وكنا نراه من قبـل ، لم يكن فى العصر الاول وعهد الخلافة الراشدة . « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض . » قد ألف الله بين قلوبهم وكان كل يحب أهل البيت ويحترم بيت النبوة ، ولم يحدث التشيع والتخرج إلا زمن على بدهاء معاوية وفساد الاموية . حدث من عداوة جاهلية بين أفراد أو بين بيوت . ولم يكن من الدين ومن الاسلام فى شيء . لو كان لعـلى سيرة النبى

وسياسة الشيخين لما كان للتشيع من امكان. وميل الشيعة زمن الأموية إلى أهل البيت لم يكن عاطفة دينية . وانما هو رغبة وأمل فى ما كانوا ينتظرونه على أيدى أهل البيت ؛ من الحكم بالعدل . ومن الاستقامة فى السيرة . فكان تشيع الشيعة عداوة لبنى أمية وبنى العباس . ولم يكن البكاء على الشهداء إلا احتيالا إلى لعن من هو يعاديه . أو مكراً ودهاء وتقية . ودين الأمة كان أرفع من كل ذلك . ومحبة الامة لأهل البيت كانت صادقة ، لا يلعب بها غرض سياسى .

ودعوى الشيعة مثل دعوة الكوفة : أولها كتب نفاق وخداع ، وعقباها خذلان ، ثم نتيجتها اسلام المعصوم الى أيدى أعدائه .

قد وقع فى تاريخ الاسلام أمران إمران ، كل واحد منهما أمر من الآخر . لا ندرى أيهما أفجع وأشد وقعا وأذهب بالدين والشرف :

١) قتل الامام المحرم عثمان فى الحرم النبوى ، وهو خليفة رسول الله فى الرسالة المحمدية، ورئيس الامة فى الدولة الاسلامية ، رابع الأمة فى إقامة الدين ، وثانى الأمة فى المصاحف وفتوحات المؤمنين . وأهل الثورة فئة حقيرة بطرت معيشتها فبغت وثارت بغياً وتمرداً . وقوة الدولة هم الأنصار والمهاجرون وعلى على رأسهم بالمدينة . وكليمة همس من على أو إشارة لمح من صاحب ذى الفقار تكفى فى طرد الفئة الثائرة من أرض الدولة ، وتكفى الاسلام الخزى والسوء بأيدى أعدائه . أهين الاسلام واهينت كل حرماته بايدى فئة باغية حقيرة ؛ وقوة الدولة (هم الانصار والمهاجرون) بالمدينة .

لم أجد فى هذا الأمر عذرا لأحد . كلا ؛ لا وزر ، ينجى من عزمات اللوم من حضر .

٢) الثانى من الأمرين قتل الحسين وكل من معه من أهل بيت النبوة بقساوة فاحشة ووحشة متناهية : تدعوه شيعة أهل البيت بآلاف من الكتب

والرسائل وعدد كثير من الوفود دعوة نفاق وخداع ، ثم تسلمه لأعداء أهل البيت إسلام خذل يخزى كل جبان ولو كان فى نهاية الضعف ، ويقتله وكل من معه ويمثل به مثلات بكل إهانة جيش الدولة الاسلامية ابتغاء مرضاة مسرف مفسد ماجن.

أنا لا أكفر يزيد لأن عمله اشنع وأفحش من كل كفر . ولا ألعنه . لان إسلام الشيعة بعد أن دعوه ، واطاعة الجيش وقائديه أمر يزيد ابتغاء لمرضاته أشنع وأفحش من أمر يزيد أضعافا مضاعفة . ودعوى الاضطرار فى القاتل ، واستحلال الفرار والخذل للشيعة الذين دعوه ، باطلة بطلانا فقهيا وواقعيا . إذ لا اضطرار فى الدم المعصوم. والذى قتل الحسين قتله بالاختيار ابتغاء لمرضاة يزيد.

وان قال قائل ان الحسين قتل فى حرب اثارها هو فهذا القول يكون تبرئة ليزيد . ويكون تخطئة عظيمة للامام الحسين عليه السلام . أنا لا أقول بهذا القول، حتى لو قالته الشيعة . ولو قال قائل ان الحسين قتل فى حرب أثارتها الشيعة التى دعته دعوات ثم خذلته، فهذا مثل القول الاول تبرئة ليزيد . والذنب كل الذنب على هذا القول يكون على الشيعة التى خادعته ثم خذلته وأسلمته .

يروى الوافى عن الكافى (٢ : ٦١) عن الصادق . أن لوصية نزلت على محمد قبل وفاته كتابا بخط إلاهى مشاهد وعلى الكتاب خواتيم من ذهب دفعه النبى إلى على . على فتح الخاتم الاول وعمل بما فيه ، والحسن فتح الثانى ومضى لما فيه . فلما فتح الحسين الثالث وجد : « قاتل ، واقتل . وتقتل . واخرج بأقوام للشهادة . لا شهادة لهم الا معك . » — ولا أرى إلا أن الشيعة لم تضع على لسان الصادق هذا الحديث الا احتيالا الى التخلص من خزى الخذل المخزى. ولا خلاص ولات حين مناص لأن خروج الامام الحسين عليه السلام لو كان «بكتاب من الله مختوم بذهب لاستند له عملا بقول الله : « يا أيها الذين آمنوا،

خذوا حذركم . فانفروا ثبات أو انفروا جميعا » ولرفع الراية وحولها قوته ،على حد قول الله : « وإن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين » لأن الامر الالاهى لا يكون إلا بالتأييد . وعلى حد قول الله : « فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك . وحرض المؤمنين . عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا . والله أشد بأساً وأشد تنكيلا » . ولكان جواب الامام لشيعة الكوفة : « أولائك الذين يعلم الله مافى قلوبهم . فأعرض عنهم . » لان شيعة العراق قدجربها أبوه الامام على وأخوه الحسن . وما كان الحسين لينسى قول أبيه فى الشيعة : « الذليل من نصرتموه! انتم كثير فى الباحات ، قليل تحت الرايات . أضرع الله خدودكم وأتمس جدودكم . لا تعرفون الحق مثل معرفتكم الباطل . ولا تبطلون الباطل مثل إبطالكم الحق . » ولو صح « نهج البلاغة » لكان يعلمه الحسين . وأكثر خطبه شكوى ولعنة . وهل كان يخذل علياً إلا شيعته . ولعلى كلات مرة خطابا للشيعة وهى كلها صادقةأخفها وأحقهامافى الصفحة (١٨٣) من المجلد الثانى لشرح ابن ابى الحديد .

قلت: أن فى تاريخ الاسلام أمرين إمرين ، انا لا ادرى ايهما اكبر خزيا وأشد سوءاً :

١) شهادة خليفة الاسلام فى أيدى فئة حقيرة باغية وقوة الدولة الاسلامية حاضرة قوية كانت متمكنة من دفعها ولم تدفع ولم تدافع .

٢) وشهادة بيت النبوة بخيانة من شيعته ، وقوة الدولة الاسلامية هى التى قتلته وأهانته ومثلت به مثلات . ومهما يختلق للثانية مختلق من وجه سياسى فان الاولى لن يجد وجها لها نفس واجد . الا توجيهات صوفية للثانية ذكر بعضها مؤلف كتاب « سر الشهادتين »

وإذ لم أقتنع بها توهمت وقلت : « إنما هى فتنة جاءت من عفاريت اليهود

وشياطين الفرس . لعبت بغفلة الشيعة فى سبيل النيل من دين الاسلام ومن دولته . » . هذه أوهامى فى توجيه الأمر أو الأمرين . ولا علم عندى فى وجه الأمرين غير ذلك . وإن كنت قد أحطت بما كتب فى الشهادتين .

وقد كشف الغطاء عن وجه الأمرين كاشف الغطاء الامام المجتهد الشيعى النجفى جعفر ابن الشيخ خضر فى كتابه كشف الغطاء حيث يقول : لا يخفى على من له أدنى خبر بأحوال السلف أن فى البين فريقين مختصمين أشد الخصومة . (سورة الحج ١٩ : ٢٢) لا زالت الحرب بينهما قائمة هذا على كان فى زمن المشايخ جالساً فى داره مشغولا بعبادة ربه . لا يولى على جانب ، وخالد وكل أضرابه أقدم منه . وبقى على على هذه الحالة إلى قيام الثالث ، الذى قتله المهاجرون والأنصار . ومعظمهم من أصحاب على . ليت شعرى كيف يرضى العاقل بوثوق على بايمان عثمان ؛ ويقتل بمرأى منه ومسمع ! والعجب أنهم يستدلون ويستندون فى رضا على بخلافة القوم بسكوته ، مع أنه سيف الله ولا يستدلون بسكوته عن قتل عثمان على رضا على بقتله . سبحان الله كيف يخفى على العاقل رضاه وقد كان الذى قتله بيده أخص خواص على وهو محمد بن أبى بكر . » كشف الغطاء (١١)

كشف الغطاء ، وهو كتاب يعتمد عليه شيعة اليوم ؛ قد كشف كل الغطاء عن كل قلوب الشيعة ، قبل أن يكشف بعض الغطاء عن بعض وجوه بعض الحقائق . فقال إن عثمان قتله أصحاب على وباشر قتله أخص خواصه بمرأى منه ومسمع فكان قتل عثمان برضا على بالبداهة . وتعجب من الذين لا يفهمون مثل هذه البداهة .

فلنا أن نقول لهذا الامام المجتهد :

لقد كنت تخفى بغض الأصحاب خيفة   فبح لان منها بالذى أنت بائح

وانطلق قلم الشيخ ولسانه فأخذ يبث ما فى قلبه من العلوم والعقائد وطفق يستدل على فضل على : ١) بحديث « لا يجوز على الصراط إلا من كان بيده جواز من ولاية على . ٢) بخبر نزول « لا سيف إلا ذو الفقار . ولا فتى إلا على » فى واقعة أحد . ٣) بحديث رد الشمس عليه بعد المغرب مرة أو مرتين أو ستين مرة . ثم جعل يقول : لو أمعنت النظر واقتفيت الأثر لعلمت من مجموعه أنه لم يكن بعد النبى أهل للقيام بأعباء الخلافة سوى من أقامه الله لها . (وهو على) وجاهر جهاراً بلعن الصديق والفاروق ، وقال إن عثمان كان كافراً قتله أصحاب على برضا على على مرأى منه ومسمع . فكشف بمثل هذا التحقيق كل الغطاء عن وجه الشهادتين : شهادة الامام عثمان وشهادة الحسين .

والامام على كان أعلم الناس بطبيعة العرب وأدبها ، وكان يعلم تمام العلم ما بين البيت الهاشمى والبيت الاموى من العداوة التى لا حد لها وكل من كل كان يقول :

فوالله لا تنفك منا عداوة　　ولا منهم ما دام من نسلنا شفر

وكل من كل قد أقسم على نفسه وقال :

والله ، لو بك لم أدع أحداً　　إلا قتلت لفاتنى الوتر !

هذه كانت جمهرة أخلاق العرب فى أحوالها الاجتماعية . والشيعة الشعوبية تزيد على ذلك وتقول : « تلك القلوب كانت أغلظ من أكباد آبالها وأقسى من صخور جبالها . »

فاذا ادعت الشيعة واعترفت بكل ذلك ، فهل بعد ذلك ، يمكن أن يقال : إن مطالبة معاوية علياً بدم عثمان كان بغياً ؟ وهل بعد ذلك يمكن لوم يزيد ولعنه لأجل قتله الحسين وأهل بيته ؟ وعثمان أشرف أموى وأسوده ، ومعاوية

ويزيد أحق أموى بمطالبة دم عثمان ، وأقوى أموى يستوفى حقوق بنى أمية من أعدائها . ولا لوم إلا على من فتح باب الفتنة بقتل أسود أموى وأعز بنى أميـة بعد ما ذهب الاسلام بجذور الفتن ولا لوم إلا على شيعة الـكوفة . التى خدمت يزيد فدعت الحسين نفاقاً ثم باعت دينها بدنيا يزيد فخذلت الحسين واسلمته إلى يزيد . لا لوم إلا على من كان يخـذل عليا فى حياته وسعى فى قتل أولاده بعد شهادته ومماته .

أنا لا أريد أن أكذب القران الـكريم والتوراة إذ يقولان: « رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود . »

على والمهاجرون والانصار براء من دم عثمان براءة الذيب من دم يوسف . ولو تقولت الشيعة ان عليا رضى قتل عثمان ، وأمر أخص خواصه فقتل بيده عثمان ، فيزيد ، (وفعله اكبر والخش واشنع من كل كفر) له حق كل الحق فى قتـله الحسين بذنب أبيه . فرحم الله صاحب اللزوميات إذ يقول فى الشيعة :

يقول كلاماً فوك يوجد بعده كذى نجس يحتاج منه الى الغسل

وفى الصفحة (١٧) عقد باباً لمثالب الصحابة وأهل البيت امهات المؤمنين فقال : المثالب الثابتة للقوم (يريد بالقوم الصديق والفاروق وعامة الصحابة وامهات المؤمنين) التى تأبى الاسـلام فضلا عن الايمان والعدالة فـكثيرة لا يمكن ضبطها . قال فى (١٩) روى البخارى فى صحيحه عن نافع عن ابن عمر قال : قام النبى خطيبا فأشار نحو مستكن عائشة وقال : الفتنة تطلع من هنا (ثلاثا) حيث يطلع قرن الشمس . يقول روى البخارى قال خرج النبى من بيت عائشة وقال رأس الـكفر من هنا من حيث يطلع قرن الشمس . يقول كاشف الغطاء عن

وجه أحاديث الامة أن كتب الأمة مملوءة من ذم عائشة وذم أبيها باحاديث النبي .

هذه شواهد تدل على قدر الايمان والأدب والأمانة لأقلام مجتهدي الشيعة .

والروح فى كتب الشيعة فى قديمها وفى جديدها متفقة : هى العداء للعصر الأول ، ولعن الصديق والفاروق وا كفار عامة الصحابة وأمهات المؤمنين وفى رأسها عائشة وحفصة . وهذه ، كما قلتـه مراراً ، هى التى لا تتحملها الأمة والادب والعقل والدين .

أمام مجتهدى شيعة اليوم محمد الحسين آل كاشف الغطاء رأيته أول مرة بالقدس ، ثم عرفته تمام المعرفة إذ كنت أجالسه فى المؤتمر القدسى أيامه . كان يجلس عن يمينى فى الصف الأول . ثم بعد مدة زرته فى بيته بالنجف الأشرف فأعطانى كتابه « أصل الشيعة » . وقال : — « طالعه تجد فيه حقائق كثيرة . قد استحسنه علماء الغرب حتى قرضه أو قرظه البعض . » — ثم زرته مرة ثانية واقتديت به مرات فى صلاة الجماعة . ثم بعد أيام قرأت كتابه « أصل الشيعة » . والكتاب صغير يمر به الراغب فى سويعات قبل أن يقوم من مقامه . وقد يطوى الله لنا طول الكتاب فى عدد مجلداته وحزونتـه فى بياناته طى المسافة وطى الزمان . فأرى المعانى مستقرة عندى قبل أن يرتد إلىّ طرف أفكارى . أحطت بكل ما فى « أصل الشيعة » فى جلسة . وقد وقفت مطى أفكارى وقفة طويلة فى (٢١) عند قوله : « أم امام الشيعة على بن أبى طالب الذى يشهد الثقلان أنه لولا سيفه ومواقفه فى بدر وأحد وحنين والاحزاب ونظائرها لما اخضر للاسلام عود ، وما قام له عمود ، حتى كان أقل ما قيل فى ذلك ماقاله أحد علماء السنة :

« ألا ، إنما الاسلام لولا حسامه   كعفطة عنز أو قلامة ظافر . »

وقفت مطية فكرى وتفكرت : دين أنزله الله من العرش العظيم إلى سيد المرسلين وخاتم النبيين ليكون ديناً للعالمين إلى يوم الدين فى كتاب « لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » كيف يقول فيه قائل له عقل ان أقل ما يقال فيه انه عفطة عنز ، أو قلامة ظافر أو ضرطة عنز بذى الجحفة ؟ ! !

وهل لعلى فضل سوى أنه صحابى بين الصحابة وبطل من أبطال جيش الاسلام . لولا الاسلام لما كان لعلى ولا لعرب الحجاز ذكر . « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً . »

« من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً »

يا ايها الناس أنتم الفقراء إلى الله • والله هو الغنى الحميد • إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد • وما ذلك على الله بعزيز •

ومن كان له أدب فليس من دأبه أن يمن على الله بشىء من عمله : « قل : لا تمنوا على إسلامكم • بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان »

ولو صدق قول إمام الشيعة : « لولا سيف على لما اخضر للاسلام عود وما قام له عود » لكان النبى فى قوله : « أنجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده » كاذباً كذب كفران ! ولكان قول الله جل جلاله « ولن تغنى عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت » باطلا بطلان عدوان •

فان كان معتزلى اعتزل دينه شبه الاسلام بضرطة أنثى المعز فقد كان أجهل الناس بالاسلام وأبعد الناس عن الايمان • وشر منه قول من جعل قول المعتزل أقل ما يقال فيه • فأى شىء بقى أقل من ضرطة العنز ؟ جىء به ترفضاً وتشيعاً حتى تكون أبلغ بليغ •

فان كنت تخفى بغض الاسلام خيفة　　فبح لان منها بالذى أنت بائح

فقل الآن : أى شىء ، بعد قولك هذا ، أكثر ما يقال فيه !

طالعت بعد مدة كتاب « الدين والاسلام » وهو كتاب جليل كتبه مؤلف « أصل الشيعة » فى سورة شبابه ، ولا ينبع مثل هذا الكتاب إلا من منبع يمده علم وإيمان . لولا أن المؤلف يقول فيه : — « ولنأخذ على جامح القلم هناً بعنان الامساك ، فانا نخشى أن يبث القلم من الأسرار ما لا تتحمله الأملاك ولا الأفلاك . يقولون حدثنا فأنت أمينها . وما أنا إن حدثتهم بأمين . » (١ : ٢١٩) ولا يعجبنى من أحد مثل هذا العجب . فان أكثر من يعجب هذه الدرجة من الاعجاب إذا أخذ يحدث حديثاً يأخذ يحدث حدثاً . فان الانتحال لا يكون إلا كذلك .

وبعد أن طالعت « الدين والاسلام » تعجبت عجباً من قول مؤلفه فى كتابه « أصل الشيعة » : « يشهد الثقلان أنه لولا سيف على لكان أقل ما يقال فى الاسلام إنه عفطة عنز أو قلامة ظافر » فان مثل هذه الشهادة لن يؤديها أحد له عقل وعنده شىء من الدين . فقول المؤلف فرية بهيتة على كل أحد ، حتى لا يقول بمثل هذه الشهادة احد من الشيعة . ولو جاريت المؤلف فى مبالغته لقلت ان شيخ الشريعة قد تاب عن قوله فى اصل الشيعة . لأن صاحب كتاب مثل « الدين والاسلام » لن يتقول أبداً بمثل هذا الكلام .

وإمام الأئمة على أمير المؤمنين اول من يتبرأ من مثل هذا الكلام . وأفضل أحوال على أن يكون خامس الأمة رابع الصحابة وقد جعله الله كذلك ورضى هو فى حياته بذلك . وقد كان يقول : « دنيا كم عندى كعفطة عنز فى فلاة » ومثل هذا الكلام فى مثل هذا المقام له وقع ، وله بلاغة . اما انتحاله فى الاسلام لولا سيف على فلم ولن يرتكبه احد . إذ لا شرف لعلى و سيفه إلا

بإسلامه والاسلام فى شرفه غنى عن العالمين غنى الله . منـه بدأ وإليه يعود .
« ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك . ثم لا تجد لك به علينا وكيلا . »

عظيم أدب اليهود
فى دين الله

اليهود وأبطالها وكل أنبيائها فى حرب العمالقة ما أسـندوا الغلبة إلى قوة اليهود . وعددهم كان قدر مليونين . بل بأدبهم أسندوا الغلبة إلى صلاة موسى . تقول التوراة فى سفر الخروج (١٧ : ١١) :

« وكان إذا رفع موسى يده ان اسرائيـل يغلب ، وإذا خفض يده أن عماليق يغلب . فلما صارت يدا موسى ثقيلتين خذ هارون وحور حجراً ووضعاه تحته فجلس عليـه . ودعم هارون وحور يديه . الواحد من هنا والآخر من هناك . فـكانت يداه ثابتين إلى غروب الشمس فهـزم يشوع عماليق وقومه بحد السيف . »

ويوشع كان نبياً . وكان بطلا قوياً لا يقوم إنسان على وجهه كل أيام حياته . وكان مثل موسى فى كل حركته . وكان شديد التواضع عظـيم الأدب ، ما كان يدعى شيئاً بل كان يقف أمام كل كاهن فى خدمته كما كان يقوم بخـدمة موسى . بمثل هذا التواضع وكمال الاخلاص نال من الله ما لم ينله موسى ولم ينله إبراهيم وإسحاق ويعقوب . به تم عهد الله لا قبله . وكان عظيما فى أعين اليهود : تهابه اليهود كما كانت تهاب موسى أيام حياته . وهو نبى له كتاب مقدس ، يعد أكبر نبى بعد موسى . ذكره القران الـكريم بين الأنبياء الثـلاثة فى السياحة ، ولم يذكره فى الاتباع والتعلم والاعتراض لأنه كان أحكم من موسى وأكثر وقوفاً على أسرار الوقائع . فهذا النبى الـكبير يقول فى العاشر من سفره الذى يعد أول كتاب بعد أسفار موسى :

« وأخذ يشوع جميع أولائك الملوك وأرضهم دفعة واحدة . لأن الرب إلاه إسرائيل حارب عن إسرائيل . »

لا شبهة ان الغلب كان له أسباب عادية . إلا أن أدب البطل النبي وأدب كتبة اليهود يوحى : ان الرب إلاه إسرائيل هو الذى حارب عن إسرائيل والغلب من الله بنصر الله لا بقوة أحد

وقد نص تثنية التوراة فى الفصل التاسع ان الأمة قوتها وبقاؤها بنبيها وبركته . لولاه لما بقى لها أثر . وان قوة النبى بالله وعونه لا بعونها ولا بسيف فرد منها . وهذا الفصل التاسع تذكيره شديد جزيل بليغ فى الغاية ، قصه القران الكريم فى سور ، منها الأعراف وسورة طه :

« اتركنى فأبيدهم وأمحو اسمهم من تحت السماء . وأجعلك شعباً أعظم وأكثر منهم . » (١٤)

مثل قول الله جل جلاله : « إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد . » ومثل قول الله « والله الغنى وأنتم الفقراء . وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم . ثم لا يكونوا أمثالكم . »

وكل ذلك يدل على أن الله فى إقامة دينه غنى عن قوة الأمة وعن سيف الأفراد . ولا يتعلق نجاح دين الله على حياة أحد من عباده . وليس الغلب بقوة أحد : وإنما هو بنصر الله .

وهذا الأدب أدب قديم فى كل الكتب السماوية وفى القران الكريم ومن عظيم أدب القران الحكيم ١:) ان ينسب العبد كل ما له إلى الله . وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . ٢) أن ينسب الله جل جلاله الخير ، والثواب وكل ما يناله الانسان فى حياتيه إلى الانسان . جزاء بما كنتم تعملون . بما أسلفتم فى الأيام الخالية . جمع القران هاتين النسبتين إرشاداً إلى أدب البيان وإلى أدب

السعى والاجتهاد . وهذا غاية الأدب ونهاية البلاغة . لم يكن إلا فى القران الكريم .

وبهذا الأدب الكريم كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تأدب فى كل أموره . فكان ينسب كل ما قاله أو فعله لله جل جلاله تواضعاً . وأما الفيلسوف فان فعل شيئاً أو علم فالى نفسه وعقله واجتهاده ينسب تعاظما .

أما المن على الله بعمل لجفاء جاهلى قد رده القران فى أهم أعمال الانسان : « يمنون عليك أن أسلموا . قل : لا تمنوا علىّ إسلامكم . . بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان . إن كنتم صادقين . » اما اسناد شىء إلى علمه وسعيه فهو نزعة طاغية قارونية لم يردها القران الكريم ، إلا رد حليم حكيم . وهذا من أعجب ما لبيان القران حين يرد الجهل والغفلة وغرور الانسان : يرده رداً فيه إرشاد ، وفيه عظيم احترام للعلم والسعى : « قال : إنما أوتيته على علم عندى . أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً . » لم يرد دعواه ، ولم يرد فائدة العلم فى الغنى وكثرة الخير والثروة . بل أرشده إلى الاستفادة بالعلم الآخر فقال : أو لم يعلم . فيكون القران الكريم قد رد الجهل فقط . ولا أرى مثل هذا الانتظام ومثل هذا الاحتياط إلا فى القران الكريم .

وأما « لولا سيف فلان لكان الاسلام كذا » فقول قد تهور به مرة معتزل ، ثم تورط فيه أخرى مغتزل مغتسل ، وهو نزغ من الشيطان ، لا يمس طائف منه من تذكر وأبصر من عباد الرحمان .

الأمة ؟ أو الأئمة ؟

تكلمت فى الكتاب ، باذن الله جل جلاله وعونه ، على مسائل كثيرة نقداً ورداً . وقلت مرات وأعيد الآن : إنى لا أنكر إلا مسائل فيها ضرر للاسلام وللشيعة وللأمة فى قوتها ووحدتها وائتلاف قلوبها . لا أبحث عن ضلال المسائل

وصوابها . وإنما أقوم عليها قيام من ينكرها لضررها . ثم ، بعد كل ذلك ، بقي عليّ كلام في مسألة تعدها أمهات كتب الشيعة من أصول الدين وأهم أركان الايمان : هي مسألة الولاية والامامة ، وهي عندنا أهل السنة والجماعة من أمهات المسائل ، وان كنا لا نجعلها من أركان الايمان في كتب التعليم وكتب الكلام .

وأريد الآن أن آتي ببيان كمقدمة ينبني عليها عقيدتنا في الامامة : أني أعتقد في الأمة عقيدة الشيعة في الأئمة . الشيعة تقول بعصمة الأئمة . أما أنا فأقول بعصمة الامة . فان الأمة في عقيدتي معصومة بعصمة نبيها والأصل في عقيدتنا أن الامام كبير الأمة وممثل كلية الأمة . فان لم تكن الامة معصومة فلا عصمة للامام . والاصل في الشرف والعصمة هي الامة . وإليه يرشد ويشير قول الله جل جلاله : « إن إبراهيم كان أمة » (١٧ : ١٢٠)

أنا لا أنكر عصمة الأئمة ، فان كانت الأئمة معصومة فاني بفضل الله علينا وبرحمته لنا في عصمة أئمتنا فرح أكثر من فرح الشيعة . إذا سار غيري في التشيع برجليه التين لا يغسلهما فاني أطير في التشيع بأجنحتي التي أمسح بها وأغسلها كل يوم مرات . وإذا مت سواي في ولاء أهل البيت بلمحة تقية فاني أتوسل بغرة لائحة نقية . وللآخرة ولائي لا للحاضرة ، وللدين أدخره لا للدون . إلا أن عصمة الأئمة لا تغني الامة في شيء ولا تغنيها عن شيء . وعقيدة انحصار الأئمة في عدد محدود قد اضطرت الشيعة الاثناعشرية إلى أن تقول أقوالا كلها مستحيلة . وعقيدة عصمة الأئمة قد بناها الشيعة على حرمان كل الأمة من عقل عاصم ومن إيمان هادىء هاد ، فان الامة ، إن كان لها عقل يعصمها وإيمان يهديها ، فهي بالغة رشيدة راشدة ، خرجت عن الوضيعة وكبرت عن طوق الشيعة .

ولأجل ذلك عرضت للشيعة هذا لسؤال : الامة ؟ أو الائمة ؟ فان قالت الشيعة بعصمة الائمة ، فأنا أقول بعصمة الامة . إذ لا حكمة للدين ولا مصلحة للامة فى مجرد عصمة الائمة . فان الامة إن لم يكن لها عقل يعصمها وإيمان يهديها وقوة تحميها فلا وجود للامة . وعصمة إمام حى ظاهر أو عصمة إمام قد اختفى فى سرداب أو فى إحدى الجزائر لا تغنى الامة فى شيء ولا تغنيها عن شيء .

وعقيدة عصمة الائمة تضطر الامة الى قوال كلها مستحيلة . والامة غنية مستغنية عنها بكل وسيلة وبكل حيلة .

الامه شريكة لنبيها
فى كل ما كان له

كل ما أنعم الله به على نبيه من فضل ونعمة ، وكل ما نزل من عرش الله العظيم إلى نبيه الكريم فكله بعده لأمته . والأمة شريكة لنبيها فى كل كمال كان له فى حياته ، ثم ورثته بعد مماته . وكل فضل وكل نعمة ذكرها القران لنبيه فقد ذكرها لأمته .

١) وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين خطاب للنبى . كنتم خير أمة أخرجت للناس خطاب لأمته .

٢) إتمام النعمة : ويتم نعمته عليك خطاب للنبى وأتممت عليكم نعمتى خطاب لأمته إلى يوم القيامة .

٣) النصر فى كل الامور : وينصرك الله نصراً عزيزاً خطاب للنبى . وكان حقاً علينا نصر المؤمنين خاطب المؤمنين . وأوجب النصر على نفسه بقسم مؤكد .

٤) إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً خطاب للنبى . واثابهم فتحاً قريباً خطاب لأهل الايمان . وفتح المؤمنين كان أوسع وأقوى من فتح النبى .

٥) الصلاة من الله ومن الملائكة . ان الله وملائكته يصلون على النبي :
هو الذى يصلى عليكم وملائكته •

وصلاة الله وصلاة ملائكته على النبى وعلى أمته أرفع بكثير من سجود الملائكة لآدم فى شأن التشريف والتكريم•

كل الامة فى كل أحوالها يصلى ويسلم على النبى وعلى أمته • كل الامة فى كل صلواتها تسلم على النبى ثم تسلم عل كل أمته • فالامة فى الشرف والكرامة مثل نبيها .

٦) التأييد : هو الذى أيدك بنصره : وأيدهم بروح منه

٧) الاصطفاء : الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس : ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا • ذكر الايراث • والميراث تأخذه الاحياء بعد الاموات . والكتاب محفوظ إلى الابد • فالامة أحياء إلى الابد • واصطفى الامة بنون العظمة بنفسه لنفسه ولم يكل الاصطفاء إلى غيره • وسائر الامم لم تكن مصطفاة • فانحرفت عن كتابها والامة ببركة الاصطفاء لا تنحرف وأضاف العباد إلى نون العظمة لقطع إمكان الانحراف والضلال بالاغواء أو بغيره (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان. سورة الحجر ٤٢) فلا يمكن الضلال فى الامة . لانها فى حمى الله بنص آية سورة الحجر. ذكر الاصطفاء بعد قوله : « إن الله بعباده لخبير بصير » والاصطفاء بعد العلم بالاهلية لا زوال له • ثم ذكر كل درجات أفراد الامة : ١) الظالم لنفسه ، ٢) المقتصد ، ٣) السابق بالخيرات . وكل هذه الدرجات باذن الله وقال ان وجود كل هذه الدرجات فى الامة هو الفضل الكبير . ثم ذكر واسع كرمه فقال : جنات عدن يدخلونها من غير مانع وبالاهلية

وهل يوجد فرق بين قولنا : ١) ظالم لنفسه . وبين قولنا : ٢) ظالم نفسه ؟

أولا ؟ فان قلنا أن لا فرق بين التركيبين فتقـديم من ظلم نفسه لأن اقتراف الذنوب أول درجات العبـد ، ثم الانابة إلى الله ، والسبق بالخيرات آخرها . ولان السابق يتـكل على طاعته ، والمقتصد يتـكل على حسن ظنه بربه ، والظـالم لا يتـكل إلا على رحمة الله . فقدم القران الظالم ليعـلم سعة رحمته . وهذا هو الفضل الـكبير . وإن كان الظالم لنفسه هو الذى يسعى ويجتهد ويتعب نفسه فى طلب المعالى والفضائل فالتقديم على أصله .

٨) السكينة : فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين : هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين

٩) شرح الصدر : ألم نشرح لك صدرك : أفمن شرح الله صدره .

١٠) التيسير : فانما يسرناه بلسانك : يريد الله بكم اليسر . لم يقل لـكم بل قال بكم .

١١) غفران الذنوب كلها : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر : ان الله يغفر الذنوب جميعاً .

ومغفرة الذنوب فى النبى كانت بالفتح والنصر . فنحن نأمل أن الله يغفر كل ما تقـدم وكل ما تأخر من ذنوب الامة بفتوحاتها وجليل انتصاراتها فى سبيل الدين والتمدن والعلوم والمعارف .

١٢) فى الايمان : آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه . والمؤمنون (بما أنزل إليهم من ربهم)

كل آمن (النبى وأمته) بالله وملائـكته وكتبه ورسـله . فالنبى كفرد من الأمة . وكل فرد كنبيه فى الايمان بالـكل .

١٣) فى الجهاد لاقامة الدين : لـكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا .

١٤) فى الاستقامة : فاستقم كما أمرت ومن تاب معك . فاستقامة الأمة مثل

استقامة نبيها فى إقامة الدين . فالأمة فى إقامة الدين معصومة بحكم العطف . والعطف على الضميرين من غير فصل فيه إفادة معجزة تفيد شدة ارتباط الأمة بنبيها فى الاستقامة وتوجه الخطاب والأمر .

ثم قول الله جل جلاله « ومن تاب معك » يعم ويتناول كل الامة إلى يوم القيامة حيث جعل المعية فى مجرد التوبة : سواء عاصره أو لم يعاصره ، وسواء اشترك معه فى عمل من الاعمال أولا . وكل هذا من واسع كرم الله ، ومن عظيم بركة انتساب الامة إلى نبى الله . وكان النبى بلسان الشكر يقول : « شيبتنى هود واخواتها . » واخوات سورة هود هى عبس ، والنازعات والمرسلات . يشير بذلك إشارة نبوية على أن الامة ستستقيم استقامة النبى وروح النبوة ستبقى فيها . فكأن النبى حى بحياتها أشيب بشبابها .

١٥) فى الايمان من كل خزى : يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه آمن الامة كما قد آمن نبيه من كل خزى وسوء إلى يوم القيامة .

١٦) فى وعيد من يخالف : ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم . فمخالفة الامة مثل مخالفة الرسول . والوعيد فى مخالفة الرسول على المشاقة ، أما فى مخالفة الامة فالوعيد على مجرد عدم الاتباع . ومثل هـذا البيان بلاغة معجزة فى بيان رجحان كفة الامة .

١٧) فى كل فضيلة وكمال تستوجبها الرسالة : محمد رسول الله والذين معه . عطف على المبتدأ فالذين معه رسل الله إلى الامم . فكل فضيلة تستوجبها الرسالة تكون فى الامة . وهذا الوجه يؤيده قراءة أشداء رحماء بالنصب على الحالية .

ومن بيان هذه الآية أخذ النبى قوله : علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل . ويؤكده تأكيداً لا يذر ذرة ريبة قول الله جل جلاله : كتب الله لاغلبن أنا

ورسلى . ان الله قوى عزيز • لان القسم لا يكون إلا للمستقبل • فالرسل فى الآية رسل الامة الاسلامية فى تحقيق قول الله « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . »

وقول الله فى عيسى « إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل • » إذا تلونا بعده قول الله « ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون » نفهم أن الآية عرضت للامة المحمدية الرسالة الى الامم • فالامة المحمدية خلف لنبيها محمد فى الرسالة الى الامم •

١٨) وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً • (٢ : ١٤٣)

اشترك الامة مع نبيها فى الشهادة على الامم • فان النبى مثل أعلى فى أدب الحياة للامة • ومن وظائف الامة أن تكون فى أدب الحياة مثلا أعلى لسائر الامم • وعلى الامة أن تستعد لمثل هذا الشرف الاعلى حتى تكون قدوة ومثلا لسائر الامم فى كل الامور .

والشهادة فى هذه الآية الكريمة غير الشهادة فى قول الله « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد • وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » (٤ : ٤١)

وللشيعة فى هاتين الآيتين كلمات على الامة ثقيلة • فى المجلد الثانى من الوافى (١٨٠) تقول الشيعة : إن النبى يشهد على الامة والصحابة بارتدادها واعتدائها على أهل بيته . يقول الصادق: لا يجوز أن يستشهد الله الامة يوم القيامة إذ لا يجوز شهادتها فى الدنيا على حزمة بقل (٢ : ١٢٠) أما أنا فأعتقد أن كلية الامة أصدق من الصادق وأعلم من كل الائمة

يقول الصادق نحن الامة ، ونحن شهداء الله على خلقه ونحن الشهداء على الناس يوم القيامة فمن صدقنا صدقناه يوم القيامة ومن كذبنا كذبناه يوم القيامة

أما نحن فنقول : ان شهادة صاحب القران تغنينا عن كل شهادة سواها .

١٩) كل ما كان ينزل من الله إلى نبيه فى حياته ينزل إلى أمته فى حياتها إلى يوم القيامة .

وهذا نص سورة القدر . لأن تنزل الملائكة والروح باذن الله ليلة القدر فى كل سنة لا يكون إلا للأمة . « تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر » وهذه السورة وهذه الآية محكمة ظاهرة نص على أن الأمة شريكة لنبيها فى أخص خصائص النبوة . وأن رسالة الأمة متصلة تمام الاتصال برسالة نبيها . لا فصل ولا انقطاع فى الرسالة . ومن أعجب ما نراه فى ترتيب السور : أن سورة رسالة الأمة متصلة بسورة رسالة النبى من غير فصل

٢٠) الأمة شريكة لنبيها فى الظهور والغلبة : هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله : وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً . يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً . أضاف الدين إلى الامة وأكد التمكين بالقسم وقال « دينهم الذى ارتضى لهم » فدل على أن دين الامة وسياسة الخلافة الراشدة بعد النبى هو الذى ارتضاه الله لهم .

٢١) فى إكمال العطاء والاحسان حتى يرضى : ولسوف يعطيك ربك فترضى : ليدخلنهم مدخلا يرضونه . وان لك لاجراً غير ممنون . فلهم أجر غير ممنون .

٢٢) فى الدعوة والتبليغ على بصيرة : قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى .

لتبيننه للناس ولا تكتمونه . لتبين للناس ما نزل إليهم .

٢٣) لقد جاءكم رسول من أنفسكم : أشهر آية وأشرف آية : خطاب لكل الناس فى كل العصور . ولا يمكن بقاؤه إلا إذا كان الامة خلفا للرسول .

٢٤) فى التثبيت : لنثبت به فؤادك . قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا .

٢٥) فى السلام من الله : قل : الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى : وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم .

٢٦) للرسول كرامة . ولامته مثلها « لهم ما يشاؤون عند ربهم » كرامة لا حد لها ولا نهاية .

٢٧) الكتاب الذى قال الله فيه « وإنه لذكر لك ولقومك » قال فى شرف الامة « لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم . أفلا تعقلون »

٢٨) ذكر القران فى الانبياء السابقين قوله « واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم . وذكر فينا « وجاهدوا فى الله حق جهاده . هو اجتباكم . وما جعل عليكم فى الدين من حرج . ملة أبيكم إبراهيم . هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس . فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » جعلنا بالاجتباء والاصطفاء فى درجة الانبياء . ولم يذكر فى الامم السابقة إلا التفضيل . والاصطفاء كلى يجمع كل الفضائل . فضل الامم قبل وجود الامة الاسلامية، واصطفاها بعد وجودهم . والاختيار على الموجود أفضل من التفضيل على المعدوم المفقود

ومما ينبغى أن يتنبه إليه من يتفكر فى نظم القران الكريم أن الله سمى إبراهيم فى هذه الآية الكريمة أباً لنا . ولم يجعل زوجه أماً لنا . وسمى أزواج النبى أمهات للمؤمنين ، ولم يسم النبى أباً لهم . فأفاد بيان القران الكريم فى

السورتين أن أزواج النبى فى الفضل مثل إبراهيم لان الـكفاءة بين الاب والأم معتبرة . وهذا من بدائع القران فى أسلوب البيان

والمعروف باسم أم المؤمنـين هى عائشة . كما أن المعروف باسم أبى المسلمين هو إبراهيم ، وان سمى القران سائر الانبياء آباء العرب

فابراهيم أب إيمان وديانة ، وعائشة أم سـنة وجماعة : أم المؤمنين بنص القران الـكريم فمن يقول : إن عائشة ليست أماً لنا فهو مؤاخذ باقراره . فمعناه أن قائل هذا القول ليس بمؤمن .

والله قد جعل عائشة تساوى إبراهيم فى ثلاثة أمور مهمـة عظيمة : ١) إبراهيم بنى البيت وأضافه الله إلى نفسه وطهر بيتى . وعائشة بنت فى المدينة مسجداً أنزل الله فيـه وان المساجد لله . ٢) الحج حجان أصغر ، وأكبر . الاكبر يحرم له من حرم ابراهيم . والاصغر يحرم له من مسجد عائشة بالتنعيم . ٣) سمى الله إبراهيم أباً لنا وسمى عائشة أم المؤمنين . فالبيت للاب ، والمسجد للام . ومن زار بيت أبيه، ثم زار بيت أمه فقد أتم الحج والعمرة لله. وأتموا الحج والعمرة لله .

وللشيعة فى أمهات المؤمنـين عقائد ، نقلتها فى (٢٢ : ٢٩) فما عذر علماء الشيعة فيها ؟

٢٩) ذكر الله جل جلاله فى كتابه أمة محمد بما لم يذكر به أحداً من الانبياء « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائـكة ١ أن لا تخافوا ٢ ولا تحزنوا ٣ وأبشروا بالجنـة التى كنتم توعدون . ٤ نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا ٥ وفى الآخرة . ٦ ولـكم فيها ما تشتهى أنفسكم . ٧ ولـكم فيها ما تدعون . ٨ نزلا من غفور رحيم . »

آيات جليـلة ، لم تنزل فى كتاب من الـكتب . ولا فى نبى من الانبياء .

وكان النبي ﷺ كلما تلاها يقول : هم أمتي ورب الكعبة .

تنزل الملائكة عدد قطر الامطار بهذه البشائر الثمانية العظيمة فضل من الله على نبيه عظيم ، وفضيلة لم تكن لنبي من الانبياء ولا لأمة من الأمم ، بل خص الله بها أمة نبيه محمد . ومحمد والذين معه هم أول من دخل في هذه الآيات .
ومجرد هذا وحده يكفي تمام الكفاية في إبطال كل باب عقده كتب الشيعة في آيات وسور تبتهر الشيعة تفتري أنها نزلت في ارتداد العصر الاول وكفر الصديق والفاروق . إذ لو لم يكن العصر الاول قد استقام بعد نبيه لكان قول الملائكة للنبي بعد ارتحاله : « ولا تحزن » على ما خلفت قولا في غير محله مردوداً على قائله لان روح النبي في أشد حزن على ارتداد كل أمته ، وعلى ظلم أهل بيته : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً . » لأن ما تدعيه الشيعة خيبة للنبي في الرسالة . وأي معنى بعد هذه الخيبة في تنزل الملائكة بالبشارة .

وكل ذي أدب حصيف إذا رجع إلى عقله وإلى أدبه يرى رأي العين والقلب أن كل آية في المدح والثناء على المؤمنين فالصحابة والعصر الاول هم أول داخل فيها وأول مقصود منها . بالضرورة .

٣٠) الأمة تشارك النبي في التبليغ بنص القران الكريم : « تبارك الذى نزل الفرقان على عباده ليكون للعالمين نذيراً . » فالقران نزل على عبد الله وعلى عباد الله ليكون الفرقان نذيراً في لسان عباد الله وهم الأمة في كل العصور . فان سند القران الكريم سند حي : ١) تحمله جبريل من الله . ٢) تحمله النبي الكريم من الله ومن جبريل روح القدس الأمين . ٣) تحمله الأمة المعصومة من نبيها المعصوم : كافة من كافة إلى يوم الوقت المعلوم ، ٤) ثم كل عصر بعد تحمله ، يحمله ويؤديه إلى الأمم إلى العالمين فيكون القران الكريم في كل عصر

بل فى كل يوم وكل آن نذيراً للعالمين فى لسان الامة .

وقول النبى « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله » يدخل فيه القران الكريم دخولا أولياً لقول الله « ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم » . والحمل غير التحمل . فان التحمل هو التلقى من غيرك . والحمل هو الاداء إلى غيرك والتبليغ إليه .

وشرف التبليغ أشرف وظيفة على كل عصر وعلى كل الأمة بل وعلى كل فرد من الأمة لو قامت به . ولو رجعنا إلى أنفسنا اليوم لآخذناها مؤاخذة . وكم لو وليت تورث القلب أنصلا !

تبتهر كتب الشيعة أن أول الامة قد كان ينافق النبى أيام حياته و ارتد بعده ساعة وفاته وعقدت كتب الشيعة أبواباً فى آيات وسور نزلت فى كفر أكابر مجرميها . ورأسهم الصديق والفاروق وكبار الانصار والمهاجرين . عبثت الشيعة بالكتاب عبث الوليد وعاثت فى الآيات عيث المريد .

وعقدت أنا هذا الباب ، وتلوت مئات من آى الكتاب، ليذهب هذا منى بتلك من الشيعة .

فليغفر الله كم تطغى مذاهبنا ودينا قد أتى بالبينات لنا !

العصر الأول أفضل الامة
والأمة معصومة .

١) أصدق قول قاله قائل فى الله قول من يقول إن الله نظر فى قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد . فاصطفاه لنفسه . ثم نظر فى قلوب الامم بعد قلب محمد ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد . فجعلهم وزراء نبيه . فالصحابة خير العباد والامم كلهم أجمعين .

فان لم يكن هذا فى الواقع كذلك ، بل كان الذى وقع كما تزعمه الشيعة . فالله هو الجاهل حين يقول : « إن الله بعباده لخبير بصير . ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا . » (٣٥ : ٣١) إذ لن يكون خبيراً بصيراً بعباده من قد أخطأ خطأ كبيراً فى اصطفائه : فاصطفى لنبيه وزراء وصحابة أشد أعدائه . ويكون الله هو الذى قد قصر فى تدبيره ، وعجز عن نصر نبيه وغفل عن أضر أعدائه حين يقول : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل . والله أعلم بأعدائكم . وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيراً من الذين هادوا . » (٤ : ٤٤) . إذ لو كان الذى وقع كما تدعيه الشيعة يكون أن الله لم يعلم أعداء نبيه ، ولم يتمكن أن يكون ولياً له ينصره من أقوى وأمكر أعدائه الذين حرفوا وغيروا كتابه وبدلوا دينه ، ثم ارتدوا بعد وفاته وظلموا أهل بيته ، وأخروا ظهور دينه إلى يوم قيام القائم . (وهو : لم يلد ولم يولد)

٢) آخر سورة من القران الكريم نزلت سورة النصر العزيز والفتح المبين ، وآخر آية من الكتاب الكريم نزلت كانت هى آية إكمال الدين ، وإتمام نعم الله على المؤمنين ، وآية رضى الله الاسلام ديناً للمسلمين ، وآكد وعد مؤكد بالقسم الالاهى كان هو وعد الاستخلاف كما استخلف الذين من قبلهم ، ووعد التمكين الذى لم يكن لأحد من قبلهم . وأجل فرح حصل للنبى ﷺ فى حياته : كان آخر فرحة فرحها فى آخر ساعة من حياته ، إذ رفع الستار فرأى جميع أصحابه يصلون صلاة جماعة ألف الله بين قلوبها خلفه خليفته الذى أقامه إماماً لأمته فى دينها ودنياها . وكانت هذه الصلاة هى قرة عينيه ورضى قلبه ونور فؤاده ، حتى طمأن الله بها قلبه ، فكانت آخر كلمات صدرت من لسان سيد المرسلين كلمات رضاً وكلمات اعتماد على استقامة أمته بعد مماته كما استقام هو فى حياته : فكان هو والصحابة أول من نزل فيهم : « إن الذين قالوا ربنا الله ،

ثم استقاموا . » وآخر كلمة سمعته عائشة يقول : « الرفيق الأعلى ! وكتاب الله في حفظ الله بيد مولاه ! »

هذا هو الذى وقع . وهذا هو الحق الذى كان ينبغى أن يقع .

وما فى المجلد الثانى للوافى (٤٤ : ٥٠) من الكافى من أمهات كتب الشيعة لو ثبت حرف منها فلا إسلام ولا قران . والامة كافرة .

٣) ثبت أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كان يقول : خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .

والمعنى أن خير القرون الماضية قرنى . ثم الذين يلونهم هم أيضاً خير من القرون الماضية . فالقرون الثلاثة من قرون الأمة هم خير من كل القرون السابقة قبل الاسلام . ولا يكون فى الحديث على هذا المعنى تفاضل قرون هذه الامة إذ ثبت : أمتى كالمطر لا يدرى أولها خير أم آخرها .

وإن كان المعنى خير القرون من هذه الأمة قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم فالحديث أن القرن الاول هو أفضل القرون من هذه الأمة . ومعنى الحديث الثانى ان أمتى كالمطر لا يدرى أولها خير أم آخرها ؟ فى سعة الارزاق ، وفى اتساع البلاد والدولة . فى أى القرون تتضاعف الخيرات وتتسع البركات أزيد ؟ فى اولها ؟ أم فى آخرها ؟

فالقرن الاول هو خير القرون على كلا الحديثين . قرن الرسالة وقرن الخلافة الراشدة . فيه نزل القران الكريم وكتب . وفيه كتب المصاحف وحفظ أصول الشرع والدين ، وفيه قامت الدولة الاسلامية على أساس متين وفيه اتسع فتوحات المؤمنين . فان الدين والملك توأمان ، لا بقاء لاحدهما إلا بصاحبه . والدين أساس الملك وعماده . والملك خادم الدين وحارسه . وقد قال النبي لعشيرته وكان يقول لصحابته : أدعوكم إلى كلمة إن قبلتموها ملكتم بها العرب ،

ودانت لـكم بها العجم ، وأدت إليكم الخراج .

عصر الرسالة كان على الحق بالضرورة ، وشهادة الواقع وشهادة القران .
وعصر الخلافة الراشدة كان على الحق بشهادة النبي وشهادة كل آيات القران .
والصحابة ، على حسب ما شهد به التاريخ ، كان لهم دين وأدب عظيم ، وكان لهم
وفور معرفة وعلم ، ونفاذ بصيرة ، واهتمام بالامور كامل .

وفيهم نزل خاتمة سورة الفتح . واسمهم فى رسالة الهدى وظهور دين الحق
على الاديان كلها ثالث بعـد اسم الله واسم رسول الله . وهذا قران كريم فى
القران العظيم لم يكن لنبى ولا ملك « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين
الحق . ليظهره على الدين كله . (وكفى بالله شهيداً محمد رسول الله والذين معه)

ثم الصحابة ، بما لهم من القوة والبأس فى ظهور الدين وغلبته على الاديان ،
جمعوا فى انفسهم مثل التوراة : هو الشدة . وبما لهم من الرحمة والدين فى
حياتهم الادبية والاجتماعية جمعوا فى أنفسهم مثل الانجيل وهو الرحمة والرأفة .

اما القران الـكريم فقد ذكر فى مثل الصحابة ومثل كل الامة زرعاً أخرج
الله شطأه وشد ازره ، وقوى بعضه بالبعض حتى التف وصار الفافاً بعضه يقوى
البعض واستوى على سوقه ، يعجب الزراع بحسن نموه وكثرة بركته . وربى
الله الامة كذلك ليغيظ بهم الكفار . ثم « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة وأجراً عظيما »

ومثل القران الـكريم فى الصحابة وكل الامة يدل دلالة ظاهرة بليغـة على
أن الله بقدرته وحكمته ينبت الامة نباتاً حسنا كل دور لاحق أقوى من سابقه ،
وكل خلف أعلم وأحفظ من سلفه ، وكل قرن من قرونه أكمل من قرينه . حتى
اذا استوى يكون على سوقه ، أصله ثابت وفروعه فى السماء .

يشهد القران . ويستشهد مثل التوراة ومثل الانجيـل فى الصحابة الذين

معه . ثم ذكر الله مثلا من عنده للأمة : زرعاً زرعه الله وأخرج شطأه ثم أنبته الله نباتاً حسناً وقواه حتى استوى واعتدل ، يعجب الزراع . ليغيظ الله بالأمة الاسلامية الكفار .

فكل ما فى كتب الشيعة بشأن الصحابة والعصر الأول هذر وهدر : بعد شهادة القران واستشهاده بالتوراة والانجيل ، وبعد مثل الله ، ولله المثل الاعلى .

والأمة معصومة عصمة نبيها . معصومة فى تحملها وحفظها ، وفى تبليغها وأدائها .

حفظت كل ما بلغه النبى مثل حفظ النبى . وبلغت كل ما بلغه النبى مثل تبليغ النبى .

حفظت كليات الدين وجزئيات الدين أصلا وفرعاً . وبلغت كليات الدين وجزئيات الدين أصلا وفرعاً .

لم يضع من أصول الدين ومن فروع الدين شىء : ١) حفظه الله ، ٢) حفظه نبيه محمد ، ٣) حفظته الأمة : كافة عن كافة ، عصراً بعد عصر . ولا يمكن أن يوجد شىء من الدين غفل عنه أو نسيه الامة .

فالأمة بالقران والسنة أعلم من جميع الأئمة . واهتداء الأمة أقرب من اهتداء الائمة . وعلم الامة بالقران وسنن النبى اليوم أكثر وأكمل من علم على ومن علوم كل أولاد على .

ومن عظيم فضل الله على نبيه ، ثم من عموم وعميم فضل الله على الأمة أن جعل فى الامة من أبناء الامة كثيراً هم أعلم بكثير من الأئمة ومن صحابة النبى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وهذا معلوم بالضرورة من نظام الله فى خلقه . فان كل لاحق يرث كل ما كان للسابق ثم يكسب ويوفر . والامة ما قصرت بل ورثت ثم وفرت

ودونت . والقران وعلومه ، والسنة وعلومها ، واجتهاد الائمة وكل ثمراته تنالها أيدينا اليوم بسهولة من كتب .

فابن الامة اليوم فى علومه هو الامة فى علومها كلها . وخلافه كسل دائب ، واستصعابه وهم رائب . كان صعباً عسيراً أو متعذراً من قبل . أما اليوم فهمة الامة وجهودها العظيمة فى عصور متوالية قد يسرته للذكر تيسيراً . « فهل من مدكر ! »

وكل ما تدعيه الشيعة وجوده فى الائمة موجود بتمامه قطعاً فى الامة . وابن الامة أحفظ واعلم وأفقه .

وكل حادثة إذا وقعت فالامة لا تخلو من حكم حق وصواب جواب يريه الله لواحد من الامة .

والامة التى ورثت نبيها وصارت رشيدة ببركة الرسالة وختمها أرشد إلى الهداية وإلى الحق من كل إمام . والامة مثل نبيها معصومة ببركة الرسالة وكتابها ومعصومة بعقلها العاصم .

الامة بلغت وصارت رشيدة لا تحتاج إلى الامام . رشدها وعقلها يغنيها عن كل إمام .

كلية العلوم بازاء عقول جميع الناس . كما أن كلية الصناعات بازاء قوى جميع الصناع . وليس يوجد على وجه الارض صانع يصنع كل المصنوعات ويقوم بجميع حاجات الناس . وكذلك كلية علوم الدين بازاء عقول الامة . ومعلوم بالضرورة أن الامام ليس له قوة يقوم بجميع حاجات الناس فكذلك معلوم بالضرورة أن الامام لم يكن يفتى فى جميع علوم الدين . ولا يعلم التاريخ إماماً له علم يبلغ به إلى درجة إمام من آحاد أئمة الامة فى علم من العلوم . والباقر كان يدعى أن عنده أصول علم يتوارثه أهل البيت كابراً عن كابر إلا أنه كان

يـكنزها كما يكنز الناس الذهب والفضة والشيعة إذا أتت بما عنـد الأئمة من العلوم تأتى بتفسير ابجد، وبما يقوله الناقوس والطبول، ثم بغرائب تسميها غرائب العلوم إن دلت على شيء فانما تدل على جهل كاتبها وقائلها. والأئمة من كلها بريئة.

أنا لا أنـكر على الشيعة عقيدتها أن الأئمة معصومة وإنما أنـكر عليها عقيدتها أن أمة محمد لم تزل قاصرة ولن تزال قاصرة تحتاج إلى وصاية إمام معصوم إلى يوم القيامة. والامة أقرب إلى العصمة والاهتـداء من كل إمام معصوم، وأهدى إلى الصواب والحق من كل إمام معصوم. لان عصمة الامام دعوى. أما عصمة الامة فبداهة وضرورة بشهادة القران.

وليس يمـكن فى العالم نازلة حادثة ليس لهـا جواب عند الامة. وعقلنا لا يتصور احتياج الامة إلى إمام معصوم، وقد بلغت رشدها، ولها عقلها العاصم، وعندها كتابها المعصوم. وقد حازت بالعصوبة كل مواريث نبيها. وفازت بكل ما كان للنبي بالنبوة.

تقول الشيعة: إن الحواس والجوارح قد تغلط وتحتار. والله قد جعل القلب لها إماماً به يندفع شـكها وغلطها. واحتياج الناس الى امام يندفع به الحيرة ألزم وأحكم. فمن جعل للحواس إماما لا يترك الناس بلا إمام. تقول الشيعة إن هشام بن الحكم أفحم بهذه الحجة عمرو بن عبيد. وهذه مغالـطة، وان افتخرت بها الشيعة. فان الله لم يترك يوماً من الايام أمة من الامم سدى. بل جعل لها من أبنائها أئمة، ثم جعل لهـا عقلا يهديها ويعصمها. و العقل العاصم فوق الامام فى العصمة. والامة بعد أن بلغت وصارت رشيدة ببركة الرسالة وختمها فان عقلها ورشدها يغنيها عن امام. بل هى الامام. وأبناؤها بعقولها أئمة.

أيها الغر، ان خصصت بعقل فاسألنه. فـكل عقل نبى

والعقل نور إلاهى يهدى الله لنوره من يشاء . ومن يؤمن بالله يهد قلبه . فان الايمان يهدى القلب إلى العلم . « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم . »

فالعقل العاصم والايمان بالله وكتاب الله الذى نزل تبياناً لكل شىء يغنى الامة وأبناءها من كل إمام معصوم .

ولو احتاجت الامة الى الامام المعصوم ذرة احتياج لما ختم النبوة برسالة محمد . ولم يكن محمد خاتم النبيين الا لزوال الاحتياج ببركة القران الكريم . فدعوى احتياج الناس إلى الامام المعصوم تنافى حكمة الله فى ختم النبوة . فان الاحتياج اما لقصور فى بيان الكتاب ، واما لقصور فى روح النبوة ، واما لقصور فى التبليغ . فدعوى عصمة الامام طعن فى أصل الدين . وقد رأيت فى كتب الشيعة بيانات لأئمة الشيعة لو تركوها مكنوزة مكتومة لكان أحسن واستر . إذ ليس فى ظهورها إلا شيوع الجهل — جهل الامام بالقران . وحكت كتب الشيعة كلمات جرت بين الصادق وبين أبى حنيفة لو صدقت لدلت على جهل الصادق جهلا لا ينفع فيه التعلم .

والشيعة بدعواها فى الائمة تصغر حق الامة وقوتها غاية التصغير . والقران الكريم قد رفع ويرفع قدر لأمة وقوتها مكاناً علياً دونه مكان إدريس . ويعلى بشأن الأمة وحرمتها درجات دونها كل درجة .

وقد تلونا فى هذا الكتاب من قبل مئات من الآيات الكريمة تشهد بذلك . ونتلو الآن من الكتاب آيات بشرتنا بما ستبلغه الامة بقوتها وعقلها واجتهادها وسعيها فى مستقبل الايام :

« ولو ان ما فى الأرض من شجرة أقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله . إن الله عزيز حكيم . » سورة لقمان (٢٧)

فرض فى القران الكريم بليغ له إشارة وبشارة وإرشاد : لو كانت كل ما على الأرض من شجرة أقلاماً وكل بحار الأرض يمدها بعدها سبعة أبحر مداداً ما نفدت كلمات الله التى ستكتبها الأمة تداركا لما كان لنبيها من الأمية .

وهذا فى مستقبل الأيام قوة كل الأمة ، أو قوة كل الانسانية « ومحمد نبيها والقران الكريم كتابها . » . ثم كل هذا ليس على مجرد الكلام والكلمات . بل منه أيضاً ان وجه الحكمة وتأمل عجائب الصنعة وإدراك إتقان نظام الخلقة لا ينفد .

ومن أعجب ما أراه فى نسق الآيات أن آية « قل إنما أنا بشر مثلكم . يوحى إلى أنما إلاهكم إله واحد . » بعد آية : « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى . ولو جئنا بمثله مدداً . » فان النبى جعل نفسه فى هذه الآية مثل فرد من أمته فى تلك الايام . فيكون الفرد من أمته مثل نبيها . وهذه درجات رقى إلى كمال لا اعلى منه ، ذكره الكتاب بعد قوله : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا . »

والامة ، بعقلها وكمالها ورشدها بعد ختم النبوة ، أكرم وأعز وأرفع من أن تكون تحت وصاية وصى ، تبقى قاصرة إلى الابد .

قلنا : إن العصر الاول أفضل الامة . والقرن الاول من العصر الاول هم أصحاب النبى عدول بالاجماع وخير هذه الامة على الاطلاق ، وخير كل أمة أخرجت للناس . وكل ثناء نزل فى القران فالصحابة أول داخل فيه . خرج النبى عن الدنيا وهو عن كلهم راض . ولهم كان الخطاب يوم عرفة : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً . » ولهم

كان خطاب الوعد بالاستخلاف والتمكين

من كان بقلبه غيظ لاحد منهم دخل فى قوله : « ليغيظ بهم الكفار . »

والله إذ جمع كل الامة فى الذكر جعلها قسمين : وذكرها فى التوبة والحشر مرتين : ١) قسم متبوع هم : « والسابقون الاولون من المهاجرين و لانصار .» ٢) قسم تابع : «والذين اتبعوهم باحسان . رضى الله عنهم ورضوا عنه . وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الانهار . خالدين فيها أبداً . ذلك الفوز العظيم . »

وشرط فى شرف التابع أن يتبع الاول باحسان وأن يكون صديقاً صادقا للاول باخلاص : « والذين جاؤوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا . »

فمن كان فى قلبه غل لهم ، أو فى لسانه نيل منهم خرج من الثانى ولم يكن داخلا فى الاول .

واذ جعل الله أمة محمد عند الجمع قسمين . ١) متبوع ، ٢) تابع . والمتبوع لا يكون الا الافضل والاشرف . وهذا بداهة وضرورة قطعية . والمتبوع فى بيان القران الكريم هم المهاجرون والانصار فقط . ذكرهم وأثنى عليهم بأبلغ الاثنية ولم يذكر معهم سواهم .

فالعصر الاول هم أفضل الامة . وأفضل العصر الاول الصديق والفاروق والخلافة الراشدة والصحابة .

والشيعة الامامية لم تزل تلعن العصر الاول . والعصر الاول هم كل الامة . وفيه نبيها . والذين تستثنيهم الشيعة بدعواها لا يخرجون أصلا أبداً من العصر الاول . والعصر الاول بوفائه لا يرضى أن يسلم إمامه الى أعدائه . يلعنونه وحده . لا أصلا وأبداً . الا وهم معه . اذ ليس للصديق أو الفاروق من ذنب به يستوجب أحدهما أو كلاهما اللعن الا أنه أقام الدين وأصوله ، وأقام الدولة

وقوتها ونظامها. والعصر الاول وعلى معه . وهم على هدى النبى وسيرته .

والرمى لا ينال من الصديق والفاروق شيئاً إلا لو أصمى كل العصر الأول وفيه نبى الامة وعلى والائمة .

إمر منكر . هادم ، لا أنكر منه . لم يكن فى دين من الاديان ولا فى مذهب من المذاهب .

لا أنكر على الشيعة إلا هذه السيئة الشنيعة

﴿ عبرة بعبرة ﴾

العجب أن اليهود فى تاريخها كانت تأتى بكل أمر منكر ، لم تترك كبيرة إلا ارتكبتها فى أشنع صورها : كانت تقتل الأنبياء وكانت تشرك بالله وكانت وكانت ، وعبدت العجل وموسى وهارون ويوشع بن نون فى قيد الحياة . ثم كانت جافية قاسية تشكو الله أشد شكوى ، وتلوم موسى وهارون لوماً غليظاً ، وتسب وتشتم شتما عنيفاً وكانت أوقح الأمم فى إنكار الجميل وكفران النعم وشدة الكفر . كل ذلك حكاه موسى فى أسفاره وفصلته كتب الأنبياء

ومع كل ذلك فان اليهود كانت تقدس الامة أمة اليهود تقديساً لا مزيد عليه ، وتحترمها احتراماً لا حد لشدته . حتى أن أنبياء اليهود كانوا يلومون الله ويغاضبونه إذا بدا لهم من الله تقصير فى أمور اليهود . وقد حكى الله فى القران الكريم شيئاً من ذلك فى موسى ، إذ يقول : « فلما أخذتهم الرجفة قال : رب ، لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى . أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ! ان هى إلا فتنتك . تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء . » وهذا لوم بليغ عذر الله نجيه موسى فيه لانه صدر وفرط من شفقته للسبعين وحبه لأمته وصادق احترامه لليهود فى كل أمورها . وقد حكى الله فى كتابه الكريم أعظم من ذلك فى يونس ذى النون إذ يقول : « وذا النون إذ ذهب مغاضبا . فظن أن لن نقدر عليه . »

وعذره الله فى ذلك حيث لم يكن غضبه إلا لأجل أن يختص الله بهدايته اليهود فقط . والحسد ، وإن كان أكبر كبيرة ، عفاه الله عن ذى النون لأنه تمنى به امتياز اليهود بين الأمم بفضل الله وهدايته .

وأظن أن هذا هو الوجه الوحيد فى استثناء قوم يونس من سنة الله العامة : « فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا . ومتعناهم إلى حين . »

وبمثل هذه الآيات تتجلى سعة الرسالة المحمدية ، وجلالة النبى الرؤوف الرحيم ، وإعجاز السبع من المثانى والقران العظيم . وبه يظهر كيف يهيمن القران الكريم على الكتب السابقة وكيف يتدارك ما فيها بحكمته البالغة . وفى القران الكريم على الكتب السابقة وعلى أنبيائها تداركات جليلة بليغة ، ان أفردها مفرد فى كتاب لكان حافلا بفوائد جميلة تكشف عن جمال وجه الكتاب .

شريعة التوراة جعلت الأسباط فئتين : ١) فئة تدعو بالبركة . والبركات كلها لمن أقام التوراة ٢) فئة تلعن . واللعنات كلها لمن ترك العمل بالتوراة وبوصاياها . والدعاء بالبركة عند اليهود لكل مطيع ، واللعنة على كل عاص .

وكل اللعنات تنزل من عند الله على أعداء اليهود إن استقامت اليهود . وإن لم تستقم فكل لعنات اليهود تنزل على اليهود .

وكل هذه مفصلة فى الفصول (٢٧ : ٣٠) من سفر التثنية .

ولعنات الشيعة كلها منتحلة من لعنات اليهود . إلا أن لعنات اليهود على العصاة كانت فيها فائدة كبيرة تسوق اليهود سوقا إلى إقامة التوراة . ولم تكن على الاعيان . بل كانت على من يترك وصايا التوراة . أما لعنات الشيعة فعلى أفضل الامة على الصديق والفاروق وعلى العصر الأول الذى أقام دين الاسلام وأقام دولته القوية العادلة . ولعنات الشيعة فيها إفساد لقلوب الشيعة تورى فيها

نيران الشحناء وترى الا كباد بورى البغضاء . واللعنات بدعة فاحشة منكرة أحدثتها بيوت متمادية . ولعنت الاموية الامام عليا مدة ولا نشك فى أن علياً رابع الامة أعلم الصحابة . فلو لعن علوى أموياً لامكن أن يقول قائل انه من باب قوله : « والحرمات قصاص . فمن عتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم . » . ونحسن الظن بالائمة فنقول لم يتخذ إمام علوى لعن الاموى ديدناً فى دينه وأدبه . وما كان ينبغى لعلوى ذلك . أما لعن الشيعة طيلة عمرها وطوال عصورها الصديق والفاروق والعصر الاول فلا وجه له إلا أنه دعوة سبئية أو نزعة فارسية هدماً وغيظاً .

وأما ما تقوله شيخ الشريعة فى كتابه « أصل الشيعة (٤١) : ان أول من وضع بذرة التشيع فى حقل الاسلام هو نفس صاحب الشريعة الاسلامية » فمغالطة فاحشة خرجت عن حدود كل أدب وابتهار وافتراء على النبى محمد ، وتحريف الآيات ولعب بالكلمات . أى حبة بذر النبى حتى أنبتت سنابل اللعن والتكفير وسنابل عقيدة التحريف بأيدى منافقى الصحابة ، وان وفاق الامة ضلال وان الرشاد فى خلافها ، حتى توارت العقيدة الحقة فى لج من ضلال الشيعة جم ؟ والشيعة زمن النبى والعترة هم الذين هاجروا معه ونصروه فى كل أموره . وفيهم نزل : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولائك هم خير البرية . » بعد قوله : إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم .

(أصول الدين وأركانه)

جعل القران الكريم أصول الدين وأركانه ثلاثة فى كل مرة إذ جمع الاديان فى آية :

« إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين : من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ، ولا هم

يحزنون . » سورة البقرة (٦٢)

« إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى : من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . » المائدة (٦٩)

الأمم والأديان فى هاتين الآيتين أربع . أما أصول الدين وأركانه فثلاثة : ١) الايمان بالله ومعرفة الله ٢) الايمان باليوم الآخر ، ومعرفة الحياة الابدية ، ٣) العمل الصالح فى الحياة الدنيا ، لها وللحياة الابدية . وهو الاهتداء فى الحياة

لم يزد القران الكريم فى آية من الآيات شيئاً على هذه الثلاثة . ولقد فصل العمل الصالح فى آيات القران الكريم بتفصيلات وافية بينة .

وإذ ذكر إيمان دين الاسلام لم يزد على هذه الاركان الثلاثة . بل فصل الركن الاول فقال : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . لا نفرق بين أحد من رسله . » ثم أجمل الركنين الآخرين بجملة موجزة معجزة جزيلة جليلة ، فقال : « وقالوا سمعنا وأطعنا . غفرانك ربنا وإليك المصير . »

وللناس فى الله آراء ، وعقائد . وكل برأيه وعقيدته يطمئن . والشرع الاسلامى يقره عليه ، إذا حصل مقصد الشارع . والمقصد هو اهتداء الانسان فى حياته ، على استقامة فى أموره ، وعلى طمأنينة فى قلبه . وهذا المقصد هو الذى نطلبه من الله فى كل صلواتنا : « اهدنا الصراط المستقيم : صراط الذين أنعمت عليهم . »

وإذا حصل هذا المقصد فى المجتمع فان الاسلام يقر الأديان ويرجىء الفصل إلى يوم القيامة .

« وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدى من يريد : إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل

بينهم يوم القيامة . إن الله على كل شيء شهيد . » (٢٢ : ١٧)

جمع فى هذه الآية الأمم الست والأديان الستة وجعل الفصل بين الاديان خاصاً بالله الديان وأُرجأ الفصل إلى يوم القيامة لان الفصل لا يكون إلا للذى كان شهيداً على كل شيء وأحاط علما بكل شيء . وليس إلا الله وحده .

وهذا من خصائص الاسلام ، لم يكن فى دين من الاديان . هذا ، لاغيره ، هو نهاية التحرير ونهاية الاحترام .

وشرع الاسلام بقوة حكومته القوية يقيم العدل المطلق فى نظام المجتمع لكل أحد ولكل دين من غير فرق بين أحد وآخر ودين وآخر . يلتزم المساواة المطلقة . ويكلف كل مؤمن مسلم السمت الحسن والسيرة الحسنة فى الحياة والمعاملة . يكلف كل مؤمن بالآداب الذاتية والاجتماعية والصدق والأمانة فى الاقوال والافعال وكل المعاملات . وهذا ، لا غيره ، هو الدين هو الاسلام إذا أطلق .

وهذا هو الدين الالاهى وهو طريقة الدعوة الاسلامية . إليه يرشد قول الله جل جلاله : « والله يدعو إلى دار السلام . ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » فان الدعوة إلى دار السلام ودار الاسلام لا تكون فائزة وناجحة إلا إذا كان المؤمن المسلم الذى يسكن دار الاسلام مثلا حسناً وشاهداً عدلا لادب الاسلام. وكل من أتى بأدب الاسلام فأدبه دعوة الى الاسلام وكل من أتى بذنب وعمل خبيث وحركة سيئة فانه قد نفر الناس عن الاسلام. ولاجل الارشاد الى هذه الطريقة الفائزة فى الدعوة ذكر القران الكريم اهتداء الفرد بعد قوله « والله يدعو إلى دار السلام . ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم . »

ودين الاسلام قوته واتساعه فى الانتشار على وجه الارض بين الامم كافة : ١) بحقائق عقائده ، ٢) وصلاح أصوله الاجتماعية ، ٣) وكمال آدابه الذاتية الفردية .

وإذا اتخذنا نبينا صاحب القرآن شهيدا لنا ومثلا أعلى فى حياتنا وأدبنا ، اذن سنكون شهداء للناس ومثلا أعلى فى الادب والنظام وسيرة الحياة للامم . والا فنحن فتنة لهم .

وكتب الكلام التى ألفت لتعليم أصول الايمان وفروعه والتى ألفت للدفاع عن المذاهب الكلامية لها فى بيان أصول الايمان طرق وأساليب تختلف على حسب اختلاف المذاهب .

والشيعة الامامية التى أخذت على نفسها أن تعلم الله بدينها والتى تتخذ ايمان المؤمن وسيلة الى أغراضها وأهوائها تقول : أصول الايمان عند الامامية ثلاثة : ١) التصديق بتوحيد الله فى ذاته وصفاته وبالعدل فى أفعاله ، ٢) التصديق بنبوة الانبياء ، ٣) التصديق بامامة الائمة المعصومين .

ثم لا يكتفون بذلك ؛ بل يقولون : الايمان هو : ١) الولاية لولينا ، ٢) البراءة من عدونا ، ٣) التسليم لأمرنا ، ٤) انتظار قائمنا ، ثم ٥) الاجتهاد و لورع . ويقولون : أثافى الاسلام ثلاثة: ١) الصلاة ، ٢) الزكاة ، ٣) الولاية. والولاية هى أصل الاركان وأفضل الاركان . وفى كل الاركان رخصة لا يوجب تركها الكفر . أما الولاية . فلا رخصة فيها . وتركها ، فى أى حال كان ، كفر .

فهذا ايمان به يكون كل الأمة كافرة إذ لم يقل أحد من الامة بامامة على والحسن والحسين . والصديق والفاروق وعثمان رؤساء الأمة ، ثم هم أعدى عدو الأئمة والشيعة . والتبرى من كلهم ولعن كلهم لازم لا رخصة فيه . فكلهم كفرة ملعونين أينما ثقفوا على عقيدة الشيعة .

وهذا الذى قلنا الآن هو أول نتيجة ضرورية لازمة ملتزمة لايمان خرقته واتخذته الشيعة الامامية ، بعد أن نسجته أيدى سياسة ماكرة خرقاء .

وقد تقدم لنا الكلام على عصمة الائمة ، وقلنا إن العصمة فى الأمة مطلوبة

معقولة ممكنة أما عصمة الائمة فلا حاجة لنا إليها ، ولا إمكان لوقوعها . وبقى لنا الكلام فى أصل الامامة ، وفى محل الاختلاف بيننا وبين الشيعة الامامية .

وكتب الكلام قد أطالت الكلام فى الامامة من غير فهم ومن غير اهتداء . والشيعة الامامية هى أطول الفرق كلاما فى الامامة . ولها فيها كتب مثل « غاية المرام فى تعيين الامام » وكتب أخر مثل « كتاب الالفين فى الفرق بين الصدق والمين » أعدها عاراً وسبة للشيعة الامامية ، مثل كتاب « فصل الخطاب فى تحريف كلام رب الارباب » . وهذا الاخير سبة فاحشة للشيعة وإن كان له قيمة عندها .

منزلة هارون من موسى ؟

لما عزم النبى ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، إلى تبوك استخلف عليا على المدينة وعلى أهله . فقال على : ما كنت أوثر أن تخرج فى وجه إلا وأنا معك ! فقال : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبى بعدى .

تقول الشيعة وكتب الكلام : إن عموم المنزلة يقتضى المساواة . ولا ريب أن هارون لو بقى بعد موسى لم يتقدم عليه أحد .

سند الحديث ثابت . والامة والشيعة قد اتفقت على هذا الحديث . ولم أر بين أهل العلم من إعتنى فى متن الحديث وفهم معناه . حتى بين من نخل كتب العهدين نخلا وغربلها غربا لا مثل الامام ابن حزم والامام الرازى والامام القرافى ومثل الامام رحمة الله الهندى صاحب اظهار الحق ومثل صاحب القول الفسيح فى ما لفقه عبد المسيح ، ومثل الامام البقاعى صاحب أعلم التفاسير .

والرسالة المعصومة إذا تكلمت بكلام لا يمكن ان ترمى كلامها على عواهنه ،

خصوصا إذا كان ساعة الكلام فرصة تاريخية ينتهزها الحكيم فى الافادة ، والنبى فى التبليغ والبيان • ومحمد صاحب القران الكريم هو أحكم الانبياء وأنبأ الحكماء لم يكن لتفوته فرصة التبليغ ساعة الاجابة عن شكوى أعلم أصحابه • خصوصا إذا كانت المسألة أهم مسألة فيها صلاح الأمة بعده • هى حق الخلافة بعده •

فلأجل ذلك عرضت فى سابق الايام سؤالا لنفسى : ما هى منزلة هارون من موسى ؟ وأخذت على نفسى أن أفتش وأبحث عن وجوه المنزلة فى آيات القران الكريم وفى أسفار التوراة • وحيث إن منزلة النبوة استثناها النبى من عموم كلامه بحثت عن منزلة سواها :

١) وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين •سورة الاعراف•

وهذه المنزلة هى الخلافة عند غيبته القصيرة • خلافة قصيرة فى أمر جزئى

٢) ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئس ماخلفتمونى من بعدى . اضطراب الامور فى خلافته القصيرة حتى ألقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه •

وللامام على فى خلافته بعد الثلاثة من هذا الشبه حظ عظيم : لم يستقم له أمره كما لم يستقم لهارون فى خلافته القصيرة أمر بنى إسرائيل حتى عبدوا العجل الذى تسند التوراة صوغه إلى هارون نفسه • والقران الكريم قد تدارك التوراة فى هذا الاسناد وبرأ هارون تمام التبرئة • وإن كان لعلى عند أدعياء الشيعة نصيب من هذه المنزلة التى ابتهرتها اليهود على هارون •

والتوراة فى سفر العدد (١٨ : ١) تقول « وقال الرب لهارون : أنت وبنوك وبيت أبيك معك تحملون ذنب المقدس . وأنت وبنوك معك تحملون ذنب كهنوتكم »

« ولا يقترب بنو إسرائيل الى خيمة الاجتماع ليحملوا خطية للموت . بل اللاويون يخدمون خدمة خيمة الاجتماع . وهم يحملون ذنبهم فريضة دهرية فى أجيالكم . وفى وسط إسرائيل لاينالون نصيبا أصلا . » العدد(١٨ : ٢٢)

« وقال الرب لهارون : لاتنال نصيبا فى أرضهم ، ولا يكون لك قسم فى وسطهم . أنا قسمك ونصيبك فى وسط بنى إسرائيل . » العدد (١٨ : ٣٠)

وتقول التوراة فى سفر التثنية (١٨ : ١) لا يكون لكاهن لاوى قسم ولا نصيب مع إسرائيل. الرب هو نصيبه كما قال له . لأن الرب إلاهك قد اختاره من جميع أسباطك لكى يقف ليخدم باسم الرب هو وبنوه كل الايام . »

فهذه الآيات فى أسفار التوراة نصوص ظاهرة جلية فى أن هارون وكل بنيه لم يكن لهم نصيب فى أرض إسرائيل ولم يكن هارون ولا بنوه يدخلون فى التقسيم أصلا . ولم يكن لكاهن ولا لاوى حظ فى الرياسة . لم يكن لهم إلا خدمة خيمة الاجتماع .

ومن غريب التعبير وبديع البيان أن الذى يراه الناس فى بادى الرأى حرمانا جعله التوراة أعظم شرف لأقارب موسى : فقال : لاتنال نصيبا فى أرضهم ولا يكون لك قسم فى وسطهم : أنا قسمك ونصيبك فى وسط بنى إسرائيل : حرمهم الارض لينالوا الله والسماء .

لم يكن لموسى ولهارون ولا لأبنائه شيء من الدنيا . وإنما لهم الله وكل مافى السماء .

« أنا قسمك وأنا نصيبك فى وسط بنى اسرائيل . » العدد (١٨ : ٢٠)

هذه عبارة سماوية نبوية إلاهية يعجبنى غاية الاعجاب بلاغتها وعلو مناها ، وهى تحقيق لقول كل رسول لكل أمة : « وما أسألكم عليه من أجر . إن أجرى إلا على رب العالمين . »

وقد ذكر فى آيات من فصول التوراة أن موسى نفسه قد حرم أن يرى شيئا من الرياسة ، وأن موسى قد خلع ثياب هارون المقدسة وصار هارون محروما من كل حق كان له ولو بقى بعد موسى لما كان له شيء . وأن يشوع صار قائدا لا بالاستخلاف ، بل تنازل له موسى عن كل حقوقه وعزل لأجله هارون بعد أن حرم الله موسى وهارون من حق العبور. كل ذلك مفصل فى الخروج والعدد والتثنية من أسفار التوراة .

فقول النبى محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، لأخيه على : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى . » (إن عده عاد من معجزات النبى لكان له وجه وجيه : كان أميا وتكلم كلام من يحيط بكل مافى التوراة .) يدل دلالة قطعية على أن عشيرة النبى وعليا وأهل البيت ليس لهم نصيب وسط الأمة ، وليس لأحد منهم لا لعلى ولا لأولاده ولا لعباس ولا لأولاده حق من جهة النسب . لم يكن لأهل البيت نصيب . الله هو نصيبهم . وهذا ليس بحرمان وانما هو رفع لعظيم أقدرهم. وشريعة مقدسة فى كل رسالة وفى كل أمة ونبوة . وما أرسل الله من رسول ولا نبى الا كان يقول : « وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين . »

وصاحب التوراة موسى تاه فى البرية أربعين سنة وحرم أن يدخل الارض المقدسة التى كتب الله له ، ولم يرها إلا من رأس حبل بعيد.

« سأوريكم دار الفاسقين . » (٧ : ١٤٥) . أما صاحب القران محمد فقد استقر استقرار الأبد على كرسى دولته القوية فى المدينة وفعل قبيل ارتحاله مثل مافعل موسى ساعة احتضاره .

تقول تثنية التوراة (٣١ : ٧) : دعا موسى يوشع وقال له أمام أعين جميع إسرائيل : تشدد ، وتشجع ، لأنك أنت تدخل مع هذا الشعب الارض التى

كتب الله لكم وأنت تقسمها لهم . والرب سائر أمامك . هو يكون معك . لا يهملك ولا يتركك . لا تخف ، ولا ترعب . »

وسار سيرة صاحب التوراة هذه صاحب القران فى أواخر أيام حياته . فبعد ما استراح الصحابة من وعثاء سفر حجة الوداع ، أخذ النبي يستشير الصديق والفاروق وبعض الصحابة فى تجهيز جيش يبعث إلى الشام فأخذ يجهز فتجهز جيش عدده يزيد على ثلاثة آلاف رجل فيهم أعيان الصحابة وكبار المهاجرين والانصار ، وعهد بقيادته إلى أسامة بن زيد بن حارثة ، وقال : سر الى مقتل أبيك ، حيث قتل والده زيد وجعفر بن أبي طالب . بمؤتة بمشارف الشام .

واشتد مرض النبي فى أول ربيع الاول وأوى الى فراشه فى بيت ميمونة أم المؤمنين وأمر الصديق بالصلاة وبتنفيذ جيش أسامة .

وكان هذا تدبيراً من الشارع الحكيم عظما إقامة للقوة الاسلامية مقابل قوى الدول السياسية على نظام يستوى فيه كل الافراد .

وقال : « تشددوا ، تشجعوا . لا تخافوا . ولا ترهبوا إن الله معكم . فالصديق فى أمة محمد بعد محمد مثل يوشع فى أمة موسى زمن موسى وبعده . صلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وعلى جميع الانبياء والمرسلين .

الهاشمي لا حق له

حديث المنزلة ثابت صحيح ، تلقته الشيعة والأمة بالقبول . فهو بأيدينا مقدمة قطعية ومسلمة . حديث قاله رسول معصوم لا ينطق عن الهوى « ان هو إلا وحي يوحى . » فان لم يكن النبي يعلم مافى أسفار التوراة فان الذى أنزلها على موسى كان يعلمه . بداهة إيمانية وضرورة قطعية .

فلم يكن لأهل البيت ولعشيرة النبي ولم يكن لهاشمي من حق ونصيب وسط الأمة ، ولم يكن لأحد من عشيرة النبي حق فى الخلافة . نعتقد أن الله

صرف الدنيا والخلافة عن أهل البيت إكراماً لأهل البيت وتبرئة للنبوة ولبيت النبوة . كان كذلك فى شرع الله القديم ، وبقى وثبت على ذلك فى شرع الاسلام .

وكل من نال حظاً من الملك والرياسة من بيوت العرب فى تاريخ الاسلام فقد صدق فيهم قول القران الكريم : « فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولائك الذين لعنهم الله . فأصمهم وأعمى أبصارهم.» (٤٧ : ٢٢)

وهذه الآية نبوة فى القران الكريم أتى تأويلها فى البيت الأموى والعباسى فى أفجع صوره .

ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . فلأجل ذلك صرف الله الخلافة عن عشيرة النبى بشرعه ، وصرفها عن أبناء النبى بشرعه وبقدره . فلم ينلها أحد منهم . وذلك تبرئة لنبيه حتى عن أبعد التهم ، ورفعاً لقدر أبنائه اختارهم واصطفاهم لنفسه . والله وحده وعرشه هو نصيب أهل البيت فى الدنيا .

والصديق وهو أحفظ صحابى وأصدق صادق روى : أن النبى كان يقول : إن الله أبى أن يجمع لاهل البيت بين النبوة والخلافة . وكذلك رواه الفاروق . والأمة تلقت حديث الصديق والفاروق بالقبول . فان لم تقبله الشيعة فحديث المنزلة فى معناه . وإدخال الصحابة علياً فى الشورى لا ينافى ذلك لأن عدم استحقاق على بالارث لا ينافى الاستحقاق بانتخاب الأمة واختيارها . وكل كفرد من الأمة له كل الحقوق .

وكل قرابة النبى كانت مصروفة زمن النبى عن كل ولاية وعن كل رياسة . ولم يستعمل النبى أحداً من بنى هاشم أيام حياته . وطلب عمه العباس ولاية ، فقال : ياعم ، نفس تحييها خير من ولاية لا تحصيها . ولم يكن فى عمال النبى

والصديق والفاروق هاشمى . لأن القرابة قد صرفت عن أمر الرياسة والولاية . ولم يكن يعتبر فى الاستعمال والولاية إلا الكفاءة والغناء . وقد كان يقدم فى كبار الأعمال بنى أمية . عملا بالعدل وابتعاداً عن التهمة وتنزيهاً لحريم النبوة .

لم يكن لنبى لاجل رسالته من نصيب . « قل : ما سألتكم من أجر فهو لكم . إن أجرى إلا على الله » ونزه الله وعصم حرم نبوة محمد وحريمها وساحة رسالته من كل شائبة . فصرف القدر أهل البيت ونسل النبى عن الخلافة وعن إرث المال والدرهم والدينار . وجاء شرعه على وفاق قدره .

وكان فى هذا الوفاق كل المصلحة السياسية هى رعاية القوة التى تعتمد عليها الدولة الاسلامية . لأن قوة الدولة فى أول الاسلام كانت هى قريش . وقريش بطبيعتها الاجتماعية كانت تكره أن تجتمع فى بيت هاشم النبوة والخلافة فيذهب البيت الهاشمى فى السماء بذخاً وشمخاً .

قال الفاروق لابن عباس : أنتم أهل النبى ، فما تقول منع قومكم منكم ؟ قال ابن عباس : لا أدرى ، والله ، ما أضمرنا لهم إلا خيراً . قال الفاروق : كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة ، فتذهبوا فى السماء بذخاً وشمخاً . ولعلكم تقولون : إن الصديق أخركم . اما انه لم يقصد ذلك . ولكن حضر أمر لم يكن بحضرته أحزم مما فعل ولولا رأى الصديق فىّ لجعل لكم نصيباً من الأمر . ولو فعل ما هنأ كم قومكم . إنهم ينظرون إليكم نظر الثور إلى جازره .

وهذه الجهة السياسية كان على يعرفها . وكل الناس يعرفونها . وكل كان يرجو تداول الخلافة فى قبائل العرب وبيوتها إذا لم يقتصر بها على بيت مخصوص بالارث . وكانوا يظنون أن الخلافة إذا دخلت البيت الهاشمى مرة فلن تخرج منها أبداً . إذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة ، ثم ذهبت

بالخلافة فماذا يكون لسائر قريش . وهذه كان يعرفها كل قرشي .

فراعى شرع الاسلام الذى جاء بالمساواة المطلقة هذه الجهة السياسية فقطع كل القطع حق البيت الهاشمي بالارث . فلم يبق له حق إلا مثل حق كل فرد من الأمة عند حلول الفرصة أو وصول النوبة .

الخلافة الراشدة

دعها سماوية تجرى على قدر   لا تفسدنها برأى منك منكوس.

الصديق والفاروق وذو النورين وعلى أبو الحسنين هؤلاء الأربعة هم الصادقون هم الراشدون . أولائك على هدى من ربهم وأولائك هم المفلحون .

خلافة الصديق والفاروق بعد النبي من كمال نبوته وتمام رسالته ، وجليل حكمة شرعه : لم يتول الأمر بعده لا عمه وكان أعقل قريش وأسودها ، ولا أبناء عمه. وكل قد كان كفواً وأهلا . فكان هذا برهاناً على أنه لم يكن يطلب ملكا حيث لم يقدم بعده أحداً لا بقرب نسب منه ولا بشرف بيت له : بل إنما قدم من قدم بالايمان والتقوى والكمال والغناء .

والتقديم فى الجاهلية كان : ١) لرجل له عشيرة وقبيلة تحميه وقوة كان يعتمد عليها ، ٢) لرجل كان له مال يفضل به ويبذله ويستميل بقوته . وجاء الاسلام ،فجاء التقديم ، ٣) للدين .

والصديق كان محبوباً مقدماً فى الجاهلية . وكان فى الاسلام سابقاً بأمور : ١) الاسلام ، ٢) الانفاق ، ٣) الجهاد ، ٤) عتق العبيد ، ٥) بناء المساجد ، ٦) الهجرة ، ٧) تزويج ابنته فى الاسلام، ٨) جمع كل ما نزل من القران حفظا وكتابة، ٩) كان الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى ، ١٠) كان أعلم من فى زمنه بأحوال العرب وأنسابها وآدابها ، ١١) كان أكثر الصحابة خدمة للنبي وأكثر الخدم قياما بحاجات النبي وأمن الناس عند النبي ،١٢) وكان حازما له

فراسة ، به صار وزيراً للنبي فى كل أموره ، ١٣) وقام مقام النبي فى حياته .

كان الصديق مقدماً فى كل هذه الأمور . وفى سائره وكانت العرب وقريش تجله إجلالا فى حياة النبي . فقدمه النبي وعينه . وكان هذا التقديم معلوماً عند كل أحد . والنبي وادع أمته فى حجة الوداع . وعاش بعدها مدة كان يخطب فيها خطباً عن كل مسألة . وكانت الصحابة تسأله عن كل حال . ثم لم يسأله أحد عمن يخلفه بعده . لأن الخليفة بعده كان معلوماً عند كل أحد منهم . واذ اشتد مرضه وأوى إلى فراشه فى بيت ميمونة أم المؤمنين اليوم الأول من ربيع الأول ، أمر الصديق أن يصلى بالناس إماماً وأمره بتنفيذ جيش أسامة . وفى الخميس صباح عشر خلت من ربيع الأول وجد قوة ونشاطاً فخرج لصلاة الجماعة وجلس من عن يمين الصديق وصلى مقتدياً بصلاة الصديق. وكان هذا آخر عهده بصلاة الجماعة فى محرابه . وكان يصلى سائر صلواته أيام مرضه داخل بيت عائشة مقتدياً بامام الجماعة . وهو الصديق .

وهذا تدبير من النبي حكيم لا يذر ريبة فى التعيين : فقد أرشد أمته إلى اختيار الأحق الأقوم الأقوى فى أمر الامامة من غير أن يحرم لأمة من حقوق انتخابها امامها . ولو كان التعيين بالنص لكان حرماً للامة من حق انتخاب امامها وأميرها ورئيسها .

لبى النبي دعوة حبيبه ورجع روحه إلى ربه عند عرش الله وحضرته ، ولم يترك أمته كما ترك إدريس مصره ومهده .وموسى يهوده وعيسى عبيده بل دفن حيث كان فى بيته وبقى بكله أماناً لامته : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم . وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » (٨ : ٣٣)

فقدمت الأمة خليفة رسول الله الذى كان يقتدى به رسول الله فى صلاته ويستشيره فى مهماته تقديم إجماع بعدليلة صرفت فى مذا كرة مسألة ، تمضى شهور

فى عصورنا الحاضرة وهى لا تنحل إلا بتدابير صعبة بعد عقبات وعقوبات ، فبايعت الأمة صباح دفن النبى بيعة طوع ورغبة اختياراً للأصلح وتقديما للأحق والأفضل .

١٥ : ٣ : ١١ الهجرية — ١٠ : ٦ : ٦٣٢ م

فنحن اليوم والامة قبلنا نقدم الصديق إذ كان يقدمه النبى وقدمه أيام احتضاره وارتحاله ، ثم قدمه تقديم إجماع كل من أخذنا عنهم القران والسنن والدين . وقدمه كل أئمة الشيعة . وإمامهم أمير المؤمنين وإمام المتقين على عليه السلام ، وبايعه وأهل بيته بيعة طوع واختيار . وهذه تبطل كل دعاوى الشيعة .

عاش خليفة رسول الله الصديق بعد النبى سنتين وبضعة أشهر وسار فى الأمة سيرة الأنبياء على هدى النبى سيرة أتعبت من جاء بعده من السلاطين والخلفاء .

إذا أردت شريف الناس كلهم — فانظر إلى ملك فى زى مسكين
ذاك الذى حسنت فى الناس فاقته — وذاك يصلح للدنيا وللدين .

فان قيل إن الأمامة لا تكون إلا إلاهية بنص من الله على لسان النبى فنقول إن مثل هذا النص لم يمكن إلا لخلافة الصديق . والصديق عينه النبى وأقامه فى مقامه بأمر من الله وبوحيه . والصديق قد استخلفه الله بآية الاستخلاف والتمكين واستخلفه النبى وقدمه فى كل أموره ، ومنع غيره أن يتقدم أبا بكر . وقد نص على إمامته بقوله : « ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر . » ولو فرض فارض فرض محال وجود نص لامامة أحد سواه لكان الصديق والفاروق أحفظ الناس للنص وأسرع الناس لقبوله وأسبق الناس فى إقامته . ولحرم على من كان له النص أن لا يقوم بالامامة ، ولامتنع امتناعا عاديا خفاء مثل هذا النص على كل أحد . وعلى ترك الأمامة وترك الدعوى عند الثلاثة . والأمام

الحسن ترك الامامة . وكل إمام بعد الحسين تركها . وكل هذه يبطل دعوى الشيعة وجود النص لعلى وأولاده من السيدة فاطمة

ثم عمر الفاروق ثانى الصحابة . بعد الصديق عند النبى كان يقول قولا أو يرى رأيا فيقبله النبى ويوافقه الله من فوق عرشه وكانت تجله كل العرب وقريش . فاستخلفه الصديق بعهد منه . ودولة الاسلام والامامة كانت تحتاج إلى مثله . وكان أفقه الصحابة وأعلم الصحابة فى زمنه على الاطلاق ، وكان أكثر الخلفاء مشاورة ومراجعة لاهل العلم فى كل مسألة . ولم يكن فى عهده جدال ونزاع فى شىء . وكان كل الصحابة يهابونه هيبة إجلال ويخافونه خوف عدل ، يتوددون لديه مثل تودد الولد بين والديه . وكان أرشد الناس فى السياسة ، وزيراً للنبى والصديق وأميراً بعدهما . فقام بأمور الامة والدولة أحسن قيام ، وأقام كل شعائر الدين أحسن إقامة . فالفاروق أعلى الصحابة فى أمور الدنيا والدين .

وزعم ناس أن الفاروق كان أسوس من على وإن كان على أعلم منه . يظنون أن السائس لا يتمكن من السياسة البالغة إلا إذا كان يعمل برأيه ، وبما يرى فيه صلاح ملكه وتمهيد أمره ، وافق الشريعة ، أولا . أما على فقد كان مقيداً بقيود الشريعة مدفوعا الى اتباعها . وعمر كان يجتهد ويعمل بالقياس والاستحسان برأيه وقوة نظره . ولم يكن على كذلك . بل كان يقف على النصوص والظواهر ، لا يعدوها إلى الاجتهاد . ولن يصيب مثل هذا لزعم أصلا أبداً . هو زعم من يجهل الشريعة . بل كان الصديق والفاروق مثل النبى فى إدارة الامور وسياسة الدولة . وكان عمر لا يخالف السنن والقران وسنة الصديق . وإنما كان أعرف الفقهاء بمواقع السنن والقران الكريم . فانتظم سياسة الصديق وعمر مثل انتظام سياسة النبى . كان عمر مدة عمره فى جميع أموره يعمل

بالـكتاب والسنة وكان يعرف مواقع السنن ويفهم معانى الـكتاب ، وكان يحكم بما يريه الله. ومن يتقول أن من يعمل بأصول الدين لا ينتظم له الدنيا فهو جاهل بالدين وأصوله ، مدع طاعن فى الدين . ثم هو يكذب قول القران الـكريم « ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم . »

ولم تر عين التاريخ رئيس دولة فى دينه وعدله وعلمه وعقله وزهـده وعظيم اهتمامه بكل أحوال الرعية وفى إدارة أرحاء الدولة فى أرجائها مثل عمر الفاروق . ورأت عينا النبى فى عمر قبل إسلامه نصيراً لدينه ودولته فدعا الله أن ينصر نبيه ودينه بأحب رجل له . فـكان عمر . ولم يشاركه فى مثل هذه الـكرامة والفضل أحد من الصحابة . ولقد أبره الله فى اقسامه :

« إنما مثل العرب كمثل جمل آنف اتبـع قائده فلينظر قائده حيث يقوده . أما أنا فورب الـكعبة لا حملنـكم على الطريق . » وسار فى دينه الذى ارتضى الله له سيرة أرضت الله و لحق والعدل وأقرت عيون أهل الاسلام ، ضربت للناس مثلا سائراً فى عداء الاسلام وسياسته الرشيدة .

عاش الفاروق فى خلافتـه عشر سنين وستة أشهر . ثبت فيها قواعد الدولة الاسلامية ومد أكنافها إلى الأرجاء البعيدة . ثم حقق مقاصد الاسلام فى أمور السياسة وفى إدارة الدولة وفى سيرة الحـكومة، وفى كثير من سنن الاجتماع . وفتحت له فتحاً مبيناً ممالك قديمة المدنية عظيمة الحضارة . فلم يعى باصلاحها وبالقيام عليها قيام الراعى الرشيد والسياسى العادل الرفيق . وشرع فى مساحة أراضيها وجباية أموالها وتوفير الخير والبركات على أهليها ، وتقـدير العلاقة بين رعاياها وولاتها ما ملأ التاريخ إعجاباً بهر الناس بآيات معجزة من العدل والذكاء.

ونحن ، فقهاء أهل السنة والجماعة ، نعتبر سيرة الشيخين الصديق والفاروق

أصولا تعادل سنن النبي الشارع فى إثبات الأحكام الشرعية فى حياة الأمة وإدارة الدولة . ونقول إن الخلافة الراشدة معصومة عصمة الرسالة المعصومة : قد ناصفتها فى تثبيت أركان دين الاسلام ورفع قواعد دولته . فالرسالة والخلافة الراشدة عدلان على حافتى عرش الله العظيم . أنزلها الله مثلا أعلى فى حياة الأمة وإدارة الدولة . من أجل ذلك ، لا نتحمل من أحد الطعن فى الخلافة الراشدة . ونعد من لغو الكلام وسقطه القول فى ما جرى بين الصحابة زمن الخلافة الراشدة . إذ قد شهد القران الكريم ، وأى شيء أكبر شهادة من الله ، أن الخلافة الراشدة قد عاشت بصدور بريئة شرحها الله ونزع كل ما كان فيها من الغل ، فلقيت الله بقلوب سليمة .

وعند الشيعة الامامية فى الامامة والوصاية نصوص تنقلها وتؤولها . لا يعرفها أهل السنة والجماعة ولا نقلة الشريعة . وما ثبت فهو عن تأويلات الشيعة بعيدة .

ثم عثمان ثالث الصحابة وثالث الخلفاء ، أول خليفة انتخب بعد مشاورة تامة وروية كاملة ، واستقصاء آراء من حضر بالمدينة فى تلك الأيام . وهذا مثال مأثور من أمثلة الشورى المنظمة التى كان الفاروق أخذ يضع قواعدها المحكمة . ولولا أنه دبر أمر الشورى وهو مشرف على الموت بطعنات قاتلة ، لكان عسى أن يبلغ به صواب الرأى الغاية التى تمهد عندها أصول الانتخاب وقواعد الحكم النيابى فانتخب عثمان بطريقة لم يكن للصحابة فيه من غرض ، بعد التشاور الكامل من أهل النصيحة والنية الخالصة .

وعلى كان أحد الستة فى الشورى ودخلها طوعاً باختياره . وقد كان قال له عمه العباس : « لا تدخل فى الشورى : إن اعتزلت قدموك . وإن ساويتهم تقدموك . » . ولم يقبله وإن كان العباس أنفذ نظراً وأقوى حدساً يرى الامور

من وراء الستور . وكان على يعلم أنه لا يستحق الامر بالارث ، فدخل ، لعله يناله بالانتخاب . وكاد ينتخب لو أنه قبل الشرط الذى عرضه له ابن عوف . والشرط كان معقولا : به فقط يندفع خوف قريش من البيت الهاشمى على العرب . وإلا فلم يكن أحد ينكر فضل على وكفاءته لكل أمر عظيم .

والامام على دخل فى الشورى كفرد من الامة . ولم يكن فى القرن الاول أحد يدعى أن عليا أولى بالخلافة والأمر . ولم يدع على لنفسه الاولوية . وتقديم بيت النبوة دعوى دخيلة أدخلها أهل المكر الذين تظاهروا بالاهتداء كيداً . ولم يكن أحد وصيا لنبيه فى أمته ، والامة رشيدة راشدة أرشد من كل من ادعى له الوصاية .

وعثمان قضى شطر عمره وهو أحب إلى الناس من عمر لشدة عمر ورأفة عثمان . وأقبلت الدنيا على الناس ، وبطرت معيشة كل أحد ، فثارت فئة وبغت . اثارتها دعاة ماكرة كابن سبأ أو مغفلة كأبى ذر الغفارى فانه كان يذكى نيران هذه الفتنة بنظره القاصر . هو وإن اشتهر بالزهد والورع والتقوى فقد أثر فيه دعوة أهل المكر فافتتن بها فكان آلة عمياء . ولم يكن يعلم أن عثمان أعلم منه وأورع وأزهد وأتقى وأنصح للدين والامة .

والدعاة أشاعت إشاعات باطلة كلها مبالغة فاحشة . ومرجع المطاعن : ١) المحاباة فى التولية والأعطيات ، ٢) الاستبداد بالرأى ، دون استشارة المهاجرين والأنصار . ٣) الاستكثار من الاموال . ٤) الجور على بعض الصحابة ، ٥) الميل إلى الجبروت .

وأكثرها كان مما تبديه أعين الساخطة ، وتشيعه ألسنة الماكرة ، وتوحيه شياطين الدعاية .

فانتهت بفاجعة (ص ١٣٠ م) ليس لها فى تاريخ البشر من نظير . فاجعة

هتـكت كل الحرمات : ١) حرمة الامام ، ٢) حرمة الاسلام ، ٣) حرمة حرم النبوة ، ٤) حرمة الشهر الحرام ، ٥) حرمة الخلافة : فقد ذهبت بكل ما كان للخلافة من روعة وجلال ، وهتـكت ما كان لها من حرمة واحترام .

قتلوه شر قتلة ، ثم تركوا جنازة الامام جيفة محتقـرة ، وقوة الدولة وقوة الاسلام حاضرة ناظرة خاذلة . تصلى الجمعة ، والفرض تلك الساعات غيرها .

أتقول مثل هذه الأقاويل الشنيعة مضطراً ، إذ لم أجد لفاجعة الامام ذى النورين عثمان من عذر لمعتذر عند من نظر ، يكون وزراً من وزر وزره من حضر . وقد ثبت فى كتب الأحاديث والأخبار : أن عثمان قد استنصر علياً ، ومعاوية .

قال العباس لعلى : « أشرت إليك بثلاث لم تقبلها . والآن أشير إليك برابع إن لم تقبله نالك شىء لم ينلك قبله : إنى أرى أن عثمان أخذ فى أمور . والله لـكأنى بالعرب قد سارت إليه ، حتى ينحر فى بيته . والله لـئن كان ذلك وأنت بالمدينة لزمك الناس به . وإن كان ذلك لم تنل من الامر شيئاً إلا من بعد شر لا خير معه . »

وقد وقع كل ما أنذره به . وكنت أظن أن علياً كان متمكناً تمام التمـكن من دفع الفتنة . ولم يـكن له أن يعتزل . ولم يكن له عذر أبداً فى الاعتزال . واعـتزاله هو الذى فتح جميع أبواب جميع الشرور بعـده . وكل حروبه آثار اعتزاله . حتى ان شهادة الامام الحسين وأهل بيته قد عدها العدو الشامت يوماً بيوم الحفض المجور . وعلى على لبنى أمية ثارات ، بأقلها تستحل طبيعة العرب كل لمحارم وتستبيح كل الدماء ، ولا تجد فى قلبها عند شفاء غيظها من مراقبة للدين .

قلت كل ذلك ليعلم : أن كل ما وقع فى أوائل أفضل العصور الاسـلامية لم يقع إلا من بيوتات أموية هاشمية علوية لعداوة شديدة عادية ، ليس للاسلام فيه

من أثر ، ولا لأيدى أهل السنة والجماعة فيه من دخل . قد كانت عفاريت الاعداء تورى به نيران البغضاء فى قلوب الامم الاسلامية . فاعتبارها من إيمان المؤمن « من عمل الشيطان . إنه عدو مضل مبين . » جهل ما يكون لنا أن تتكلم بهذا . سبحانك ! هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين . »

ارتقى الامام على ، وهو أعلم من فى زمنه ، وأفضل الصحابة بعد الثلاثة ، عرش الخلافة ، بعد أن جعلت شهادة عثمان كل الامة الاسلامية فى تلك الايام هائجة ثائرة ، وبعد أن لم يبق للخلافة من روعة وجلال ، ولا للمدينة من حرمة ، ولا للامام من قول يطاع . فاضطرب كل أموره ، ولم يصف له ثانية من يومه وليله . وقلما خلت خطبه من ذم لشيعته وشكوى . وامرأة من بنى عبس ردت على على وهو يخطب فى منبر الكوفة فقالت : « ثلاث بلبلن القلوب عليك : ١) رضاك بالقضية ، ٢) أخذك بالدنية ، ٣) وجزعك عند البلية . » . بدوية تجترى بمثل هذه الكلمات على الامام يخطب فى منبر الخلافة ، ولا ينكرها عليها أحد ، ثم يفحم الامام ويسكت كل هذه أحوال تشهد شهادة عادلة غير مردودة على اضطراب كل أموره . ولم يكن هذا لعيب فى على . وقد حكى القران الكريم أمثاله لاولى العزم من الرسل . وقد قام نوح بأمر دعوته ألف سنة . « وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن : فلا تبتئس بما كانوا يفعلون » « وما آمن لموسى إلا ذرية من قومه » وقد تعب فى أمر قومه ثمانين سنة ، وتاه فى البرية أربعين ، ولم يتم فى يده شىء وقد مات ابن مئة وعشرين .

لم يكن شىء من ذلك لعيب فى على . وإنما هو أمر قضاه الله بالحق وقدره بالصدق ، صرفاً للأمر من أهل البيت . به آتى تأويل قول النبى : « أنت منى

بمنزلة هارون من موسى . » . وبه ينهار كل الانهيار كل ما تقوله الشيعة الامامية فى الأئمة .

لو صدق كليمة من أقاويل الشيعة لـكان النبى يجهل شيئاً يعلمه كل أحد فى زمنه ، ولـكان الله جاهلا فى كل أفعاله وكاذباً فى أُكثر أقواله .

دعها سماوية تجرى على قدر   لا تفسدنها برأى منك منكوس !

الانقلابات فى الخلافة الاسلامية .

لم يقم فى تاريخ الاسلام بعد نبيه حكومة حكمت باسم الاسلام وعلى عدل الاسلام إلا حكومة الشيخين الصديق والفاروق . ومعاوية جعلها هرقلية قيصرية ، والعباسية جعلتها فارسية كسروية ، ولو نالت العلوية عظمة العباسية ونفوذها لجعلتها كسروية أريستوقراتية . وأبعد الناس عن العدل وعن روح الاسلام هم الشيعة الامامية ، إذ تعتقد فى الأمة الحرمان المطلق ، وتختص حق الفهم وحق الحكم لافراد معدودة ، ليس لآخرهم من الوجود نصيب : « لم يلد ولم يولد » فاستوفى كل شبهه من الله ، قبل أن ينال شبها فى شىء لنبى من الانبياء . وإن ادعت الشيعة أن له شبهاً بكل نبى.

روى صاحب الموافقات (١ : ٩٧) أن النبى ﷺ كان يقول : « أول دينكم نبوة ورحمة ، ثم ملك ورحمة . ثم ملك وجبرية . ثم ملك عضوض . »

وهذه الاربعة قد أتى تأويلها فى تاريخ الاسلام على ترتيبها فى الذكر وعلى غيره . فعهد الرسالة والخلافة الراشدة نبوة ورحمة . وعهد الاموية ، والعباسية ، إذ بلغ فيه رقى لاسلام فى تمدنه وعلومه غايته ، ملك ورحمة . ثم فى عصور الانحطاط ، إذ لم يبق للامة والائمة والملوك أثر فى رقى الاسلام وانتشاره ، ولم يبق سعى فى اتساع الاسلام ودولته ، جاء دور ملك وجبرية ، وجاء زمن

ملك عضوض .

وهذه أمور أخبر بها لسان نبوة معصومة ، ثم وقعت وشهـد بها التاريخ . وهي لهـا ما بعدها .

وقد نقل الامام محمد إسماعيل الشهيد فى كتابه « منصب امامت » باللغة الفارسية من كتب الأحاديث تمام الحديث :

١) تـكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تـكون ، ثم يرفعها الله جل جلاله . ٢) ثم تـكون خلافة على منهاج النبوة ، ما شاء الله أن تـكون ، ثم يرفعها الله جل جلاله . ٣) ثم يكون ملـكا عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون . ثم يرفعه الله تعالى . ٤) ثم تـكون ملـكا جبرية فتـكون ما شاء الله أن تـكون ، ثم يرفعها الله تعالى . ٥) ثم تـكون خلافة على منهاج النبوة . ثم سكت . ثم قال : يعمل فى الناس بسنة نبيهم ويلقى الاسلام بجرانه فى الارض . يرضى عنه سا كن السماء وسا كن الأرض . لا تدع السماء من قطر إلا صبته مدراراً ، ولا تدع الأرض من نباتها شيئاً إلا أخرجته . حتى يتمنى الاحياء الأموات .

فقد رأينا فى تاريخنا كل الأدوار الأربعة للخلافة . والحديث يخبرنا عن دور خامس للخلافة فى عصور مقبلة تبلغ فيها المدنية المـادية أوج كمالها الذى عبر عنه لسان النبوة بقوله : « لا تدع السماء من قطرها شيئاً إلا صبته مدراراً ولا تدع الأرض من نباتها شيئاً إلا أخرجته . حتى يتمنى الاحياء الاموات . » . والحديث بكلماته النبوية كاد يكون بياناً لسورة الزلزلة : « إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها . وقال الانسان ما لها . يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها . يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

ونحن صوفية الاسلام ، ننتظر كل ذلك . وقد نراها بنور الايمان ، ونرى

اليوم جلى بشائرها رأى العين .

ثم نحن نعلم اليوم بشهادة التاريخ قطعاً أن الخلافة لا تكون كاملة وافية ، إلا إذا بلغت قوتها حيث وصلت دعوة الرسالة . ولم يقع مثل هذا التطابق تماماً إلا فى عهد الخلافة الراشدة ، حيث كانت دعوة الرسالة ما جاوزت حدود الدولة الاسلامية .

أما فى سائر العصور وفى أيامنا هذه على الخصوص فان دائرة الاسلام قد اتسعت ، ودول الاسلام قد تعددت ، والأمم الاسلامية على وجه البسيطة قد تفرقت ، فانحصار الخلافة بيد فرد أو دولة واحدة ينافى وضع الخلافة فان قوة الخلافة لا يمكن أن تكون محدودة ، وقوة كل دولة محدودة بحدودها السياسية لا تتجاوز حدودها فلا يجرى فى غيرها حكمها . فانحصار الخلافة فى حدود دولة واحدة ينافى وضع الخلافة ، وينفى غاية الخلافة ، ويجعلها محجورة عن كل حقوقها ووظائفها .

فالخلافة فى صورة الانحصار من عبث الالقاب ؛ ومهمل الالفاظ . غنيت عصوراً جمة اسماً لا معنى له ، تداولتها دول بعد دول ، وتوارثته أفراد بعد أفراد .

حتى إذا وقعت الحرب الأخيرة ، وألقت كل رحالها وأخامت كل خيامها على وجه البسيطة أمهات القشاعم ، حاربت كل الأمم الاسلامية خلافة الدولة العثمانية فى صفوف أعدائها القوية . فقضت الأمم الاسلامية على الدولة العثمانية وعلى الخلافة الاسلامية : ولما قضت الأمم الاسلامية على خلافتها الموت ، ما دلها على موت الخلافة إلا قرار الاتراك باهمال اسم الخلافة والغائها . فلما خرت ، تبينت الأمم الاسلامية أن لو كانوا يعلمون عيوب الخلافة المهملة ما لبثوا فى ضلال قديم مهين .

وإذ وضعت الحرب أوزارها ، وسلمت الأقدار أزمة الأمور لأيدى جبار الأتراك وبطلها ورجل الدنيا وواحدها وهرقول الحرب وأطلسها فخر الأتراك جندى الاسلام الغازى مصطفى كمال آتاتورك ، أحيا الدولة التركية ، ثم ألغى الخلافة العثمانية الفردية أخذاً فى أول تدبير يعيد الخلافة الاسلامية سيرتها الأولى .

وهذا ، من جلالة الرئيس الغازى ، تنازل متواضع على وجه النصيحة ، وتبرع لدول الاسلام بحق عظيم وشرف جليل من يد فسيحة ، وإصابة تهدى أمم الاسلام إلى إحياء الخلافة على منهاج النبوة فى صورة حسنة وسيرة صحيحة .

ثم إن الذى قد وقع إن لم يكن فى نفس الامر على ذلك ، فلعالم الاسلام أن يتلقى الامر كذلك . ومثل هذا التلقى سهل يسير يتحصل بفتح عين وبزيادة نقطة واحدة : فلا تقولوا ! إن الاتراك ألغت الخلافة من وجه البسيطة . بل قولوا : إن الاتراك ألقت الخلافة بين يدى الامم الاسلامية على بساط المذاكرة لتكون سعة الخلافة تعادل سعة البسيطة .

ولنا ، صوفية الاسلام ، أمل عظيم أن عرش رب محمد سبحانه أيام قيام المدنية الدينية فوقهم كل الدول والامم الاسلامية : والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية .

غاية الادارة ومقصدها

فى الشرع الاسلامى

الدولة : أمة : ١) مستقلة تعيش باختيارها وتقوم بذاتها . ٢) لها دينها ولها دستورها . ٣) لها أرض تملكها وتعيش فيها معيشة الرجل فى بيته . ٤) لها قوة تقوم بانتظامها ، وتنفذ أوامرها . ٥ لها جيش يدافع عن كيانها وعن أرضها .

فان تجمعت هذه الاركان الخمسة فى جماعة ، كثير كان عدد أفرادها أو قليل ،

فان هذه الجماعة هى أمة ، وهى دولة .

فان كانت حكومة الدولة وقوتها : ١) خادمة تخدم الأمة : تربى الأمة فى دينها وأدبها وفى صناعاتها تربية مقومة مرقية وتدير أمور الأمة فى صلاح الأمة وأمنها ورفاه حالها ورخاء حياتها من غير أن يكون للحكومة من الادارة والرياسة غرض واستيثار بالحظوظ وبنعيم الحياة ، فالدولة والادارة والسياسة نحن ، فقهاء الاسلام ، نسميها دولة نبوية ، إدارة إيمانية ، سياسية سماوية . حكومة دينية . وسواء بعد ذلك ، كانت الحكومة مونارشية ، أو كانت دموقراتية أو كانت آريستوقراتية . ٢) أما إن كانت حكومة الدولة وقوتها مختدمة تختدم وتسخر فى هواها وأغراضها ورفاهها وجبروتها الرعية وقواها وثروتها وتستأثر بحظوظها فالدولة والادرة والسياسة نحن ، فقهاء الاسلام وصوفيوه ، نسميها دولة سلطانية ادارة نفسانية ، سياسية أرضية ، حكومة بشرية . سواء كانت جمهورية نيابية ، دستورية ، أو فلانية وفلانية .

فاسم الدولة ووصفها عندنا من المبدأ والمقصد والغاية . لا من وصف الادارة ولا من شكل الآلة ولون الراية .

ولم تر أعين التاريخ من يوم خلق الله السماوات والأرض دولة على وجه البسيطة خادمة لأمتها ، ساهرة فى كل أمورها وحاجاتها وصلاحها ، غير مستأثرة بحظوظها لنفسها ، غير مسخرة لها فى أهواء نفسها إلا حكومة نبى الاسلام والصديق والفاروق .

ونحن اليوم إذا نظرنا من وراء ستور العصور نرى أن نبى الاسلام بدأ تعاليمه بالعقائد الحقة وأركان الايمان الخمسة فأوجد بها أمة واحدة يؤلف بين قلوبها أقوى رابط مقدس جعل كل فرد من أفرادها جندياً لها يجاهد فى سبيلها بكل ماله وبنفسه . فكل الأمة جيش . وكل أموال الامة خزينة ، وبيوت

الامة وطن . بقى على هذه الحالة مدة غير طويلة ؛ حتى التف حول قائدها جماعة صارت دولة صغيرة قوية،عزمها وإيمانها أقوى من كل دولة كانت فى تلك الايام على وجه الارض ، وقال « الذى أرسله بالهدى ودين الحق » لمؤسس هذه الدولة النبوية « فقاتل فى سبيل الله ، لا تكلف إلا نفسك · وحرض المؤمنين . عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا . والله أشد بأساً وأشد تنكيلا . »

فكان النبى فى تلك الايام بحكم هذه الآية الفريدة على إيمان وعزم ، لو بقى وحده ولم يكن حوله أحد ، وقام عليه جميع من على وجه الارض بكل قواها ، لثبت فى دعوته وتبليغ رسالته ، ثم لغلب . ونحن اليوم نعتقد ذلك عقيدة إيمانية وعقيدة علمية ، ولما كان عمل هذا النبى العظيم الكريم خارقة تاريخية . بل لكان من باب قول الله : « إنا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شىء سبباً . فاتبع سبباً . »

لان الحازم العازم المدبر الذى يرى الامور والاحوال ببصيرته وبصره هو بقوة إرادته ونافذ همته يتمكن من أن يستخدم الاحوال الحاضرة والقوى الموجودة بين يديه يسخرها تسخيراً ويقودها ويسوقها مسخرة خادمة لمقصده موصلة إلى غاياته .

ثم ، بعد أن التفت هذه الدولة الصغيرة حول قائدها وإمامها النبى ؛ التجأ النبى الكريم إلى وزر المدينة . وفيها جيشها القوى المدرب الذى عاهد النبى عهدين أن يشرى نفسه فى سبيل دعوته ابتغاء لمرضاة الله . والمدينة فى اسم عاصمة النبى هى المفعلة من دين الحق الذى نزل ثلاث مرات فى قول الله « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . » . فان الهدى هو العقائد الحقة ، ودين الحق هو السياسة : سياسة العدل الحق . وقد جاء هذا المعنى فى بشائر النبوة الاولى : ان مهاجر النبى الموعود يكون مظهراً للسياسة العادلة .

وان مولده يكون مهبطاً للهداية الشاملة . والمدينة فى غير اسم عاصمة النبى هى الفعيلة بشهادة قول الله « وارسل فى المدائن حاشرين . »

فى المدينة أخذ النبى يؤسس مؤسسات ، دار كلها واحدة هى مسجد النبى ، وأخذ يعلن ويعلم شرائع اجتماعية ، مدرستها المسجد النبوى . فهندس نظام دينه ، وأسس قواعد دولته فى عشر سنين حتى تم عرش الله العظيم المتين :

هو : دولة الاسلام : هى الأمة لهـا ركنان • أفضل ركنيها : السابقون الاولون من المهاجرين ومن الانصار . وثانى ركنيها : الذين اتبعوهم باحسان : الذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا . وهذا الركن الثانى : كل الامة بعد النبى والمهاجرين والأنصار . (٩ : ٩٩) رضى الله عنهم ورضوا عنه . وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها . ذلك الفوز العظيم .

وقد ذكر القران الكريم كل الامة بعد آية وعد الظهور وآية الرسالة العامة فقال : هو الذى أرسل رسوله بالهـدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .»يا أيها الذين امنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم : تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم • ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون• يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم •وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب • وبشر المؤمنين • سورة الصف(٩ : ١٣)

فدولة الاسلام فى عصر الرسالة والصحابة : هى الأمة : ١) مستقلة تعيش باختيارها وتقوم بذاتها . ٢) لهـا دينها ولها دستورها . هو القران والسنة . ٣) لهـا أرض تملكها وتعيش فيها معيشة الرجل فى بيته كل جزيرة العرب . ٤) لهـا قوة تقوم بانتظامها وتنفذ أوامرها . ٥) لها جيش يدافع عن كيانها

وعن أرضها . والجيش كل الامة ، والخزينة كل ما لـكل الامة . وكل فرد من أفراد الأمة جندى يجاهد فى سبيل دعوتها بكل ماله وبنفسه . والأمة وعدها الله بقسمه المؤكد النصر والفتح والغلبة فى آيات عديدة .

وكل من هذه الامور لا يكون إلا لدولة سياسية نبوية عادلة فاتحة خادمة مثل فتوحات ذى القرنين الذى لم يذكره القران إلا مثلا يقتدى به حكومة الدول فى قوتها وصلاحها وعدلها وفى شديد السهر فى اعتلائها وفى رفاه رعاياها .

وفى قول القوم الذين « لا يكادون يفقهون قولا » لذى القرنين : « فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً . » وفى جواب ذى القرنين : « قال : ما مكنى فيه ربى خير ! فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً . » وفى كل ما أتى به ذو القرنين مثل أعلى وعبرة رائقة رائعة لـكل حكومة ولـكل دولة . وحكومة ذى القرنين الذى يعظمه القران أعظم من تعظيم الانبياء حكومة نبوية فى روحها وإن كانت فردية مونارشية على حسب شكلها . فقد أتى بأعظم عمل ، وقد دفع أظلم عدو ، وقد قام بأعظم مصلحة وكل ذلك من غير أجرة لقوم لم يكونوا من رعاياه . ومثل هذه الاعمال ومثل هذه الهمة نحن ، صوفى الاسلام، نسميها نبوية إلاهية سماوية ، حتى ولو كانت من حكومة استبدادية ديكتاتورية . فان الاستبداد والديكتاتورية لا بأس فيها إن كانت فى سبيل تنفيذ المصلحة والصلاح المحقق .

واسم الدولة والحكومة عندنا من مقصدها ومن غاياتها وروحها . ولا نعبأ بشكل الادارة . ولنا أن نقول : إن حكومة عمر كانت مستبدة ، ديكتاتورية لم تكن تعرف الهوادة فى الحق وكانت جبلا راسياً لم تكن تزلزله العواصف والعواطف . وكان يقع من عمر بعض ذلك فى حياة النبى وكان يوافقه النبى . حتى وافقه الرحمان الذى استوى على عرشه فى عشرين من الأحكام وزيادة .